الكتاب الرابع

العلاقات الدولية

- مناهج البحث فى العلاقات الدولية ·
  - ـ المناهج التقليدية ·
  - ـ المناهج المعاصرة ·
- العلاقات الدولية فى الاسلام ·
- تطور النظام السياسى الدولى ·
- العوامل المؤثرة فى السياسة الدولية ·
- عناصر القوة الوطنية ·
- توازن القوى ·
- الحركة الاستعمارية ·
- صناعة السياسات الخارجية ·
- وسائل تنفيذ السياسات الخارجية ·
- الاندماج الدولى ·

مناهج البحث فى العلاقات الدولية

حدثت تطورات كثيرة فى دراسة العلاقات الدولية منذ الحرب العالميـــة الثانية ، اذ كانت تدرس بشكل نادر قبل ١٩٢٠ ، وأخذت فى البداية شكل التاريخ الدبلوماسى ، ثم الجوانب القانونية ، وما لبثت أن أخذت مســـالك جديدة ، كالمناهج التحليلية ٠

وفى عام ١٩٤٨ ظهرت مساهمة هامة فى مجال العلاقات الدولية ، تتمثل فى ظهور كتاب البروفسور « هانز مورجانثو » عن « السياسات بين الامم » Politics among Nations وبهـــذا وضح أن السياســة الدوليـــة هى السعى لتحقيق القـــوى ، واعتبر ذلك بمثـــابة المنهج الواقعى فى السياسة الدوليـــة ٠٠

وقد انعكس هذا التطور وغيره على مناهج دراسة العلاقات الدولية ، حيث أن هناك مجموعتين من مناهج البحث فى العلاقات الدولية هما :

الأولى ـ المناهج التقليدية ٠

الثانية ـ المناهج المعاصرة ٠

أولا ـ المناهج التقليدية :ـ

نتناول فى هذه النقطة مجموعة من المناهج التقليدية أهمها :ـ

١ ـ المنهج التاريخى Historical Approach

٢ ـ المنهج القانونى Legal Approach

٣ ـ منهج سياسات القوى Power Politics Approach

٤ ـ منهج المصلحة الوطنية National Interest Approach

٥ - المنهج المثـــالى Idealist Approach

٦ - المنهج الوصفى Descriptive Approach

٧ - المنهج الايديولوجى Ideological Approach

٨ - المنهج المقـــارن Comparative Approach

٩ - المنهج التحليلى Analytical Approach

ونتناول دراسة هذه المناهج التقليدية بالتفصيل فيما يلى : -

المنهج التاريخى : Historical Approach

يعد المنهج التاريخى من أوائل المناهج التى اتبعت فى دراسة العـــلاقات الدولية ، وقد اتبعته الجامعات البريطانية لعدة سنوات ، وفيه تتم دراسة تاريخ الدبلوماسية والعلاقات بين الدول لفترة محددة . وكان لهذا المنهج مغزى هام عندما كانت أوروبا المسرح الرئيسى للعمل الدولى ، اذ كان التاريخ العالمى موازى أساسا للتاريخ الاوروبى فى تلك الفترة .

عندما بدأت دراسة العلاقات الدولية ، ولا سيما فى الجامعات الغربية ، كانت الدراسات تتبع هذا المنهج ، لا سيما فى مجال التاريخ الدبلوماسى ، الا أن هناك عدة مآخذ يأخذها بعض الدارسين على هذا المنهج هى : -

١ - ما يتعلق بالتحيز ، فالدراسات التى اتبعت هذا المنهج التاريخى ، كثيرا ما كانت تغلب جانبا على جانب آخر ولذلك وصفت بالتحيز .

٢ - ان الدراسات التى اتبعت هذا المنهج كانت لا تأخذ فى الاعتبار ما يسمى بالارتباط السببى Causal inference أو التطور المتلقى المنتظم بمعنى أن هناك علاقة وثيقة بين السبب والنتيجة ، اى ان هناك سببا ونتيجة ، وقد تصبح النتيجة سببا لنتيجة أخرى . معنى ذلك أن هـذه الدراسات كثيرا ما كانت تتسم بالانفصالية وعدم الارتباط ، وعدم وجود علاقة ارتباطية سببية .

٣ - التاريخ لا يتطور في اتجاه واحد ، بحيث يمكن استخلاص قوانين تحكمه .. أيا كان الامر ، فانه يساهم بدور معين في تفسير ظواهر العلاقات الدولية ، ويمكن أن يكون هذا المنهج أكثر فاعلية اذا ساندته مناهج أخرى ..

٢ - المنهج القانوني : Legal Approach

يمكن ارجاع هذا المنهج الى « جروتيوس » Grotius الذي كتب مؤلفه الشهير عن الحرب والسلام انتهاء بكتابات « هانس كلسن » و « هرش لوفز باخت » و « كوينسي رايت » .

ويتفرع عن هذا المنهج منهج التنظيم الدولي ، الذي يعمل على دراسة العلاقات بين الدول ، من خلال دراسة سلوك الدول في المنظمات الدولية ، واتبعت بعض المدارس الغربية هذا المنهج في بدايات الاهتمام بدراسة العلاقات الدولية بها ولا سيما من قبل المتخصصين في العلوم القانونية ، ونجد أثر هذا المنهج واضحا في المعاهدات الدولية والشخصية الدولية والمنظمات الدولية وغيرها ، كالاعتراف الدولي - والتكييف القانوني للحرب - وتسوية المنازعات الدولية بالطرق السلمية وعناصر المسئولية الدولية .

وأهم ما يؤخذ على المنهج القانوني Legal Approach أنه يقدم جانبا واحدا من جوانب العلاقات الدولية وهو الجانب القانوني ، وبالتالي فانه يهمل الجوانب الاخرى في دراسة ظواهر العلاقات الدولية ، بمعنى أن دراسة قانونية معينة عن سيادة الدولة مثلا ، تتعرض للجوانب القانونية لهذه السيادة ، وتتناول على وجه الخصوص ما يسمى بالدولة ناقصة السيادة والدولة ذات السيادة ومعايير السيادة ومعايير نقصانها ، أي أنها لا تتعرض للجوانب الاخرى غير القانونية ، نذكر منها على سبيل المثال ما يتعلق بقوة الدولة ، في حين أن قوة الدولة بالمفهوم الواسع للقوة تؤثر على هذه السيادة

القانونية ، فاذا كان ميثاق الأمم المتحدة مثلا يساوى فى السيادة بين دولتين معينتين ولتكن الاولى الاتحاد السوفيتى ، والثانية اليمن الجنوبية ·· فمن الناحية القانونية الدولية هناك مساواة بين الدولتين ، ولكن من الناحية العملية نجد أن هناك فروقا فى السيادة بين الدولتين ·· وعلى هذا الاساس فان قوة الاتحاد السوفييتى كدولة تؤثر على سيادة الاتحاد السوفييتى ، كما أن قوة اليمن الجنوبية كدولة تؤثر على سيادتها من الناحية الفعلية ، وبالتالى فان هناك فرقا واضحا ما بين السيادة بالمفهوم القانونى والسيادة بالمفهوم السياسى ·· فالسيادة بالمفهوم القانونى تقف عند حد الشكل القانونى ، أما السيادة بالمفهوم السياسى فانها تخترق الشكل وتنفذ الى ما وراء الشكل ، وهو القوة بالمفهـــوم الواسع ، وعلى هذا الاساس تعطى للسيادة مدلولا آخر يختلف عن المفهوم القانونى ·· هذا المثال يوضح لنا أن المنهج القانونى قاصر فى كثير من الحالات فى شرح ظواهر العلاقات الدولية ، وان كان هـــذا لا يمنـــع من توضيح أهميـــة هذا المنهج ، الا أن أهميته تنحصر فى جانب واحد ، وهو أنه يقدم جانبا واحدا من جوانب العلاقات الدولية ، وهو الجانب القانونى ، ولا يتعرض للجوانب الاخرى ·

٣ ـ منهج سياسات القوى Power Politics Approach

ويعتبر المفكر « هانز مورجانثو » Morganthau اول من أصل هذا المنهج ، فمن المهم فى العلاقات الدولية من الناحية الواقعيـــة أن نهتم بفكرتين أساســـيتين : ـ

١ ـ فكرة المصلحة

٢ ـ فكرة القوة ، ومن هنا تأتى السيطرة ·

والمصلحة تتحدد فى اطار القوة ، والقوة تتحدد فى اطار السيطرة · وعلى هذا الأساس فان القوة السياسية تعد نتاجا لعدد من المتغيرات المادية وغـــير

المادية ، م فالاتحاد السوفيتى لديه عناصر معينة للقوة : عسكرية ، اقتصادية ، سياسية ، تكنولوجية ... الخ ... وبالتالى تتحدد المصلحة فى هذا الاطار ، وعلى أساس سيطرته تتحدد قوته .

اهم ما يؤخذ على هذا المنهج ما يلى : -

١ - النظام الدولى عند هانز مورجانثو نظام استاتيكى ، بمعنى أنه نظـــام جامد ولا يأخذ فى الاعتبار الديناميكية التى يتسم بها النظام الدولى ، علاوة على أن القوة مسألة نسبية ، فعلى سبيل المثال : كانت بريطانيا قبل الحرب العالمية الثانية قوة عظمى بلا منازع فى العالم ، ولكنها عندما خرجت من الحرب العالمية الثانية أصبحت دولة من الدرجة الثانية نتيجة لعوامل متعددة ، وعلى هذا الاساس فان قوة الدولة ليست قضية جامدة ولكنها قوة تتسم بالديناميكية فى الحركة .

٢ - وهناك ملاحظة أخرى هى أن هناك عوامل أخرى غير القـــوة تساهم فى تفسير ظواهر العلاقات الدولية ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : الرغبة فى التعاون الدولى ، وحقوق الانسان وحـــرياته الاساسيه . والنزعات الاندماجية .. الخ .

٤ - منهج المصلحة الوطنية : National Interest Approach

يعتبر هذا المنهج أن الهدف الاساسى للدولة هو تحقيق المصلحة الوطنية وعلى هذا الاساس فان أنصار هذا المنهج يركزون فى دراسة العلاقات الدولية على كل ما يتعلق بالمصلحة الوطنية ، ويعتبرون أن المصلحة الوطنية تتضمن الاستمرارية فى العلاقات الدولية بمفهوم المصالح .

اهم ما يؤخذ على المنهج :

١ - يعتبر هذا المنهج أن السلوك الخارجى للدولة رشيد دائما ، مع العلم بأن السلوك الدولى ليس دائما بهذه الحالة .

٢ - أن هذا المنهج يفسر العلاقات الدولية وفقا لعامل واحد هو عامل المصلحة الوطنية ، ويتناسى عوامل أخرى كالايديولوجية أو البيئة السياسية مثلا أيا كان الأمر ، فان هذا المنهج من المناهج الهامة فى دراسة العلاقات الدولية لا سيما اذا عضد بمناهج أخرى مساعدة .

٥ - المنهج المثالى : Idealist Approach

يقوم هذا المنهج على أساس تصورات مثالية للعلاقات الدولية فيتعرض مثلا لحكم القانون فى العلاقات الدولية والخضوع لسلطة التنظيم الدولى ، والالتزام بأحكام المواثيق الدولية .

يؤخذ على هذا المنهج : -

انه لا يتعرض لواقع العلاقات الدولية ولكن يتعرض لما ينبغى أن تكون عليه وشتان بين ما هو كائن وما ينبغى أن يكون .. ورغم ذلك فان هذا المنهج يمكن أن يفيد فى الدراسات المستقبلية والدراسات التى تعمل على تحويل العلاقات الدولية الى الالتزام بحكم القانون واحترام الحقوق والحريات الانسانية وتحويل كل ما هو مثالى الى واقع فى المستقبل .

٦ - المنهج الوصفى : Descriptive Approach

يقتصر المنهج الوصفى على وصف ظواهر العلاقات الدولية دون تحليل العوامل المفسرة لهذا الوصف ، وعلى سبيل المثال : فيمكن أن يطبق هذا المنهج على السياسية الخارجية الاسرائيلية من خلال وصف مؤسسات هذه السياسة وتشكيلها وتنظيمها ، والاشخاص الذين تولوها ويتولونها حاليا ، ثم التعرض لوسائل هذه السياسة من الناحية الوصفية كان يذكر مثلا أن هناك علاقات دبلوماسية بين اسرائيل وبين دول معينة ، وتذكر هذه الدول من خلال تبيان التمثيل الدبلوماسى الاسرائيلى فى الخارج والتمثيل الدبلوماسى الأجنبى لدى اسرائيل ثم التعرض للمعاهدات التى ابرمت بين اسرائيل وبين الدول الاخرى ، وذلك بوصف هذه المعاهدات ، وبهذا الشكل يمكن أن تقدم دراسة

وصفية للسياسة الخارجية الاسرائيلية ... هـذا المنهج يمكن أن يفيد عند استطلاع ظواهر العـلاقات الدولية ، وكمقدمة لدراسـة أخرى أكثر عمقا من الوصف.

٧ - المنهج الايديولوجي : Ideological Approach

هـذا المنهج شائع ، ويكاد يغطى كل الدراسات التى تنتهجهـا الدول الشيوعية ، فمعهد العلاقات الدوليه في موسكو وهو معهـد مشهور ، حيث تخرج من هذا المعهد كثير من أبناء الدول المتخلفة ، نجد أن المنهج الايديولوجي هو الصفة الاساسية التى تطغى على دراساته ، فكل شيء عند الدراسة فى هذا المعهد هو التكييف مع ما يسمى بالايديولوجية الماركسية اللينينية .

« فعندما يتعرضون للسياسة الخارجية الامريكية نجدهم يركزون أساسا على ما يسمى بالطابع الامبريالى للسياسة الامريكية والعلاقة بين الرأسمالية والاستعمار والتناقض بين الامبريالية ومصالح الدول المتخلفة ، ونجـد أن ما يسمى « بالماركسية اللينينية » هى المفسر الاساسى لكل ما يتعلق بالسياسة الخارجية « الامبريالية الامريكية » وعندما تتعرض هذه المدرسة للسياسـة الخارجية السوفيتية نجد أنها تركز على « التزام هذه السياسة بالماركسية اللينينية وأن الاتحاد السوفيتى هو المدافع الاول عن مصالح الشعوب فى العالم وأنه يسعى لتحقيق مصالح الكادحين ، وأنه لا يتسم بالامبرياليـة كالولايات المتحدة ، ولكنه هو الذى يحارب الامبريالية ، وأن مصـالح الاتحاد السوفيتى تتمشى دائما وأبدا مع مصالح الدول النامية » ، وأن الشيوعيـين فى الدول المتخلفة هم الرواد الذين ينتظر أن يعملوا عـلى تحويل هذه الشعوب الى ما يسمى بالنظم الشيوعية ، أى ان كل شيء فى نظر معهد العلاقات الدولية فى موسكو يتعلق بالولايات المتحدة والغـرب هو « شر امبريالى » ، أما كل شيء يتعلق بالاتحاد السوفيتى ومعسكره فهو خير من الامبريالية ولا يمكن ان يكون الاتحاد السوفيتى أمبرياليا ، أما الخلاف الصينى السوفيتى فتبريره أن القيادة

الصينية تتسم بالتحريف لأنها حادت عن تعاليم الماركسية اللينينية . ويطلق السوفييت على الزعامة الصينية « المحرفون الصينيون » ، هذا المثال يوضح لنا أنه وفقا للمنهج الايديولوجي كل شيء يلون أو يصبغ بالايديولوجية باعتبارها هي المفسرة لكل ظواهر العـــلاقات الدولية ، وما عدا ذلك لا يمكن أن يفسر العلاقات الدولية

اهم ما يؤخذ على المنهج الايديولوجي :

أنه يفسر العلاقات الدولية وفقا لعامل واحد ، مع العلم ومن البديهي أن العلاقات الدولية تفسر وفقا لعشرات العوامل ، ومن الصعب في معظم الاحيان ـ ان لم يكن في كل الاحيـــان ـ الوصول الى تفســـيرات متكاملة لظـواهر العلاقات الدولية .

٨ ـ المنهـج المقارن : Comparative Approach

وفقنـا لهذا المنهج تقارن السياسة الخارجية للدولة (أ) بالسياســـة الخارجية للدولة (ب) من خلال توضيح جوانب السياسة الخارجية للدولتين ثم التوصل الى أوجه الشبه ، وأوجه الخلاف بين السياستين الخارجيتين وامكانية الاستفادة من أوجه الشبه والخلاف في جوانب السياسة الخارجية المستقبلية ، كما يمكن أن يطبق نفس المنهج على السياسة الخارجية لدولة معينة في فترتين لكل منهما طابعها الخاص ، أو في فترتين لكل فترة منهما زعامة خاصة تختلف عن زعامة فترة أخرى تالية أو لاحقة ، وذلك للتوصل في النهاية الى توضيح أوجه الشبه وأوجه الخلاف ، وأوجه القصور والنقص اذا وجد ذلك من خلال المقارنة بين السياسة الخارجية خلال الفترتين المعنيتين أو السياسة الخارجية بين الدولتين المعنيتين ، كما يمكن أن يطبق هذا المنهج المقارن على السياسة الخارجية لاكثر من دولتين وهذا المنهج شائع في بعض الكتابات الامريكية ، كما أن المعاهد المتخصصة في بعض الدول استخدمت هذا المنهج في دراساتها ، كما أن أجهزة المخابرات في كثير من الدول المتقدمة تلجأ الى هذا المنهج في بعض العـــالات .

٩ - المنهج التحليلي : Analytical Approach

هذا المنهج يذهب الى أن للدول نمطا من المصالح Pattern of Interests والالتزامات ، وكذلك تقاليد الدولة التاريخية - موقعها الجغرافي - المصلحة الوطنية - أهداف الامن وحاجاته ، وأن هذه المصالح يتم تحديدها وفقا لنظام الاولويات ، بمعنى أن يوضع نظام تدرجي للمصالح بحيث يمكن عند اللزوم أن يتغاضى عن مصلحة معينة مع التركيز على مصلحة أخرى اذا كان الواقع العملي يقضي بذلك ، كما يركز هذا المنهج على ما يسمى بعملية السياسة الخارجية Process ووفقا لهذا المنهج ، فانه من الاهمية التركيز على عملية السياسة الخارجية ، بمعنى كيفية صناعة القرار في السياسة الخارجية وهذا يساهم في تحليلها ، فلا شك مثلا أن طريقة مساهمة « خروشوف » في صناعة السياسة الخارجية السوفيتية تختلف عن طريقة « بريجنيف » ، وطريقة مساهمة « ديجول » تختلف عن طريقة مساهمة « جيسكار ديستان » في صناعة السياسة الخارجية الفرنسية ، كما أن طريقة « جمال عبد الناصر » في صناعة السياسة الخارجية المصرية تختلف عن مساهمة « السادات » وطريقته في صناعة السياسة الخارجية المصرية . والغرض من عرض هذه الامثلة هو المساعدة على فهم المنهج التحليلي ، حيث أن العوامل الشخصية تساهم في تفسير عملية صناعة القرارات ، وهي من المسائل التي يهتم بها المنهج التحليلي .

● ● ●

ثانيا : المناهج المعاصرة في دراسة العلاقات الدولية

١ - المنهج السلوكي : Behavioral Approach

هناك صلة بين المنهج السلوكي والتقدم الذي أصاب الدراسات النفسية والاجتماعية ، ومن ثم يركز على دور الشخصية الوطنية ودورها في العلاقات الدولية ، كما أنه يحلل الجوانب النفسية للحرب .

وقد قام كارل دويتش الذى يعد من السلوكيين بتطوير النظرية الكميـة للتكامل الوطنى ، وقد طور العديد من العوامل القابلة للقياس كمؤشرات لتنمية الجماعات المختلفة ، ومن أمثلة ذلك وسائل الاتصال بين الاقاليم المختلفة ، وهذا يعكس الرغبة فى التكامل ، وبتطبيق نظرية التكامل فى المجال الدولى ، فان دويتش يؤكد على وسائل الاتصال والتدفق الاعلامى وغيره من المتغيرات التى تعد بمثابة عوامل حيوية فى العلاقات الدولية ٠

ويأخـذ المنهج السلوكى فى اعتباره بعض العلوم الاخرى كعـلم النفس الاجتماعى ، وعلم الاجتماع السياسى ، والانتروبولوجيا الاجتماعية ، وذلك للمساعدة عـلى فهم ظواهر العلاقات الدولية ، وهناك بعض الدراسات التى اتبعت المنهج السلوكى ولا سيما فى المجالات الآتية :

١ ـ **دراسة الشخصية الوطنية** : فدراسة الشخصية الوطنية الامريكية مثـلا تساعـد فى فهم السياسة الخارجية الامريكية ، ودراسـة الشخصية الوطنية السوفيتية تساعد على فهم السياسة السوفيتية ، ودراسـة الشخصية الوطنية العـربية تساعد عـلى فهم السياسة الخارجيـة العـربية ٠

٢ ـ قياس الرأى العام ازاء مواقف خارجية معينة ٠

٣ ـ دراسة سيكولوجية الجماهير ابان الازمات الدولية ٠

٤ ـ تحليل أثر الدعاية فى المجال الدولى ٠

وهكذا ، فان مثل هذه المجالات تساعد على فهم العلاقات الدولية بالتركيز على الاعتبارات السلوكية ، ويمكن أن نضرب مثلا عارضا يساعد عـلى فهم أهمية المنهج السلوكى ، ويتعلق هذا المثال بالعلاقات السوفيتية المصرية ، ولا سيما قبل طرد الخبراء السوفييت ، فأحد العيوب التى وجهت الى السياسة المصرية تجاه الاتحاد السوفيتى هو أن القائمين عليها ، لم يكونوا مؤهلين كلية

لممارسة هذا الدور ، كما ان النخبة الفنية المصرية لم تدرك حقيقة الشخصية الوطنية السوفيتية ، وان شئنا الدقة الشخصية الوطنية الروسية وليست الوطنية السوفيتية ، ففى بعض الاحيان كانت الزعامة المصرية ترسل ممثلا الى موسكو ممن ليس على دراية بالشخصية الوطنية الروسية ، وتكون النهاية بيـــان مشترك فيه كلمات ومدلولات يفسرها المسئول المصرى بطريقة معينة ، ويفسرها المسئول الروسى بطريقة أخرى ، هذا اذا اقتضى الامر ذلك ، ولو كانت النخبة الفنيـــة المصرية على دراية متواضعة بالشخصية الوطنيـــة السوفيتية لساعدها ذلك كثيرا على فهم الكثير من مواقف الاتحاد السوفيتى ، فاحد جـــوانب الشخصية الوطنية الروسية هو الحذر ، والشك والتردد ، واستيعاب الموقف ببطء ، وعدم اتخاذ أى اجراء عملى الا بعد حذر شديد ، وهذه الامور البسيطة لم تكن فى اعتبار النخبة الفنية المصرية .

٢ - منهج النظام الدولى ومكوناته الفرعية :

The International System and its Subsystems

يتأثر هذا المنهج بتطبيق نظرية النظم System theory والظواهر الدولية وفقا لهذا المنهج تخضع لقواعد تنظمها ، وعلى هذا الاساس فالوصول الى هذه القواعد يساهم فى تحليل العلاقات الدولية ، ونظمها ، ومن أمثـــلة النظام الدولى Global System ، نظام توازن القوى Bipolar System ونظام القطبية الثنائية Balance of Power ونظـــام تعدد المـــراكز : Poly centrism ، ويقـــوم نظام توازن القـــوى Balance of Power على عدد من التحالفات والمحاور التى تفككت قواها او تكاد ، وذلك لمنـــع اى محور قوى من استغلال اى تفوق .. وقد تميز النظام الدولى بعد الحـــرب العالمية الثانية بنظام الاستقطاب Polarization ونظام القطبية الثنائيـــة Bipolar system بمعنى أنه فى أعقاب الحرب العالمية الثانية تميز النظام الدولى بوجود قطبين رئيسيين هما :

القطب الأول : الولايات المتحدة .. والقطب الثاني : الاتحاد السوفيتي ، ورغم أن الدولتين العظمتين كانتا في اطار التحالف أبان الحرب العالمية الثانية ضد المحور ، الذي كان يتكون من المانيا وايطاليا والامبراطورية اليابانية ..

وبهذا الشكل يبين النظام الدولي أنه بعد الحرب العالمية الثانية حدث اختلاف في العلاقة بين الحلفاء ، حيث تحول الحليف الامريكي الى قطب ، وتحول الحليف السوفيتي الى قطب آخر مناوىء للقطب الامريكي .. وعلى هذا الاساس فان الحرب الباردة ظهرت بشكل واضح في نهاية الحرب العالمية الثانية ، ومن خلال المؤتمرات التي عقدت لتسوية الاوضاع المترتبة على الحرب العالمية الثانية .. وما يهمنا في هذا الصدد أن كلا القطبين الامريكي والسوفيتي سار في فلكهما مجموعة من الدول ، واعتبرت مجموعة الدول في كلا القطبين تابعة لكل قطب على حدة ، والكلمة الاولى للقطب الامريكي أو للقطب السوفيتي ، ولكن مع ديناميكية العلاقات الدولية وظهور عوامل جديدة تحولت العلاقة داخل القطبين من المركزية الى اللا مركزية ، فوجدنا في اطار القطب الغربي بروز فرنسا كمناوىء بشكل أو بآخر للسياسة الامريكية ، وتقدم انجلترا وفرنسا في مجال السلاح الذري وهذا أدى الى تدعيم النزعة اللا مركزية في داخل القطب الامريكي وحلفائه ، وعلى الجانب الآخر حدثت لا مركزية أيضا داخل القطب السوفيتي وحلفائه ، وأبرز سماتها النزاع الصيني السوفيتي بالاضافة الى ظهور بعض النزعات الاستقلالية داخل أوروبا الشرقية من أبرزها النموذج الروماني بزعامة «شاوشيسكو» والنموذج التشيكي الذي انتهى بالغزو السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، وذلك بسحق ارادة النظام التشيكي حتى تخضع لأوامر النظام السوفيتي ، وبهذا الشكل اتجه النظام الدولي الى نظام تعدد الاقطاب Multi polar system ويسميها بعض الكتاب سياسة تعدد المراكز poly centrism وبهذا الشكل اصبحت هناك مراكز بارزة في النظام الدولي هي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي

وفرنسا في عهد ديجول والصين في عهد ماوتسي تونج ، وفي نفس الاطار برزت سياسة عدم الانحياز التي كانت امتدادا لسياسة التضامن « الأفرو آسيوى » وقد ساهم « جمال عبد الناصر ونهرو وتيتو » بدور بارز في سياسة عدم الانحياز ، وعندما برزت هذه السياسة عام ١٩٦١ ، أضفت طابعا أشد ديناميكية في النظام الدولي ، ولكن هذه السياسة ما لبثت أن تحطمت فيما بعد . وسوف نبرز هذه السياسة بالتفصيل في موضوعات لاحقة .

المهم : وفقا لهذا النظام يمكن التوصل الى قواعد عامة تحكم العلاقات الدولية ، ويمكن التوصل الى القوانين والانماط في كيفية عمل النظم والتوصل الى استنتاجات عامة تتعلق بعوامل « التوازن والاختلال » التي تحكم تطور النظم .

أما النظام الفرعي Subsystem فيقصد به بعض المنظمات المنبثقة عن النظام في اطار محدد ، فقد يكون هذا النظام في اطار اقليمي أو اطار دولي ، ومن أمثلة الاطار الاقليمي منظمة جامعة الدول العربية ، ومنظمة الوحدة الافريقية . ومن أمثلة الاطار الدولي : عصبة الامم ، والامم المتحدة . وهذه المنظمات تأتي في مرتبة لاحقة لخصائص النظام الدولي ، وبالتالي فهي الفرع وليست الاصل ، ومن هنا فهي تدخل في اطار التنظيم أو النظام الفرعي .

ويؤخذ على هذا المنهج أن أقصى ما يتوصل اليه ليس نظما وانما هو اتجاهات trends في العلاقات الدولية ، وهناك بعض الكتاب الفرنسيين يضعون حدودا على هذا المنهج ومنهم « ريمون أرون » حيث يقول : ان أكثر القوانين عمومية في العلاقات السياسية الدولية لا يمكن أن تكون بطبيعتها أكثر من تعميمات محدودة القيمة العلمية جدا ، واذا كان ما ذهب اليه «أرون» صحيحا في كلمته ، فقد أثبتت السوابق الدولية أنه من الممكن التوصل الى قواعد عامة تحكم النظام الدولي أو العلاقات الدولية ، ولكن هذه القواعد ليست مطلقة وهي

عرضة للتغيير ، ويمكن أن تفيد فى تحليل العلاقات الدولية والتنبؤ بهـــا ، وصناعة القرارات فى اطار العلاقات الدولية ٠

٣ - نظـــرية التوازن : Equiliblrium Theory

أوجدت هذه النظرية أساسا لشرح ظاهرة التوازن فى اطار العـــلاقات الدولية ، والتوازن هنا ليس إستاتيكيا ، ولكن توازن من نوع آخر ، فهـــو توازن واقعى ، وتوازن ديناميكى - وهو حالة من الاستقرار النسبى المؤقت الذى قد يجعل الطريق ممهدا لظهور توازن جديد ٠٠ فالتوازن اذا ببساطـة يقصد به أن هناك طرفين أو أكثر يجمعهم رابط معين ، وأن عناصر القوى لدى الطرفين متقاربة ، ويقول Liske ان التوازن يمكن أن يتحقق فى المنظمات الدولية بشروط ٠

شروط التوازن هى : -

١ - أن يكون هناك تقبل عام من جانب الدول الاعضاء للقيود التى يفرضها التنظيم عليهم ، أما رفض تلك القيود فيعتبر خروجا على التوازن ٠

٢ - أن يكون هناك تناسب بين النفوذ الذى تمارسه الدولة داخل هذا التنظيم وقوة الدولة الحقيقية فاذا وجدت فجوة بين النفوذ والقوة الحقيقية فهذا يعنى اختلالا فى التوازن ٠

٣ - أن يكون هناك استعداد من قبل الدول لتحمل المسئوليات التى تتمشى مع الالتزامات الرسمية ٠

٤ - أن تكون وظائف التنظيم متفقة مع احتياجات الدول الاعضاء فيها ٠

أما النقد الذى يوجه الى هذه النظرية فهو : -

١ - السعى الى تحقيق التوازن قد يؤدى الى عدم التوازن أى التخلخل ٠

٢ - اختلاف مفهوم التوازن من دولة الى دولة أخرى ٠

٤ - منهج صناعة القرار : Decesion Making Approach

ان القرار هو اختيار لبديل من البدائل alternatives ويخضع لتوجيه فريق عمل من المستشارين ، يوضحون ما لكل بديل وما عليه ، وكما هو معروف ، فان لكل قرار مزايا ومساوىء ، ووفقا لمنهج صناعة القرارات تدرس العلاقات الدولية من زاوية صناعة قرارات العلاقات الدولية .

وعملية اتخاذ القرارات عملية متتابعة المراحل وتشتمل على عدد من الافراد المتفاعلين فى بيئة قرارية معينة ، وتضم هذه البيئة الوحدات المسئولة عن اتخاذ القرار الخارجى ، ومن الكتب التى تناولت صناعة القرارات الخارجية هناك كتاب : The Foreign Policy System لمايكل بريتشر ينقسم الى ثلاثة أقسام : -

١ - المدخلات .

٢ - العملية .

٣ - المخرجات .

٥ - نظرية المباريات : Game Theory

تقوم هذه النظرية أساسا على افتراض مواقف وتحليل أزمات دولية مفتعلة يمكن الاستفادة منها فى المواقف والازمات الدولية الفعلية ، وتستخدم هذه النظرية بحوث العمليات فى تحليلاتها ، وغالبا ما تستعين بفريق من الخبراء فى تخصصات معينة ، وتستعين أجهزة المخابرات فى الدول المتقدمة بهذه النظرية فى تقديراتها للمواقف الدولية .

وقد طبق كتاب لعبة الامم The Game of Nations لمايلز كوبلاند هذا المنهج ، اذ تعرض الكتاب لبعض أنشطة المخابرات الامريكية .. وقد ذكر مؤلف الكتاب أنه : -

اجتمع بأعضاء مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ المصرية ، وكان

مسئولا عن قسم مصر فى المخابرات الامريكية قبل عام ١٩٥٦ وقبل التأميم ، واهتمت المخـــابرات الامريكيـــة بسلوك عبـــد الناصر ، وطبقـــوا نظرية المباريات على سلوكه ٠

هذا المثال يوضح أن هناك مواقف مفتعلة ، يحاولون تقدير المواقف بصددها ويستعينون بشخصيات تتقمص زعامات مختلفـــة ويفتعلون حـــوارا ، وهذا يساعد على فهم السلوك الدولى لدولة معينة فى المستقبل ووضع بدائل جاهزة للمواقف الدولية ٠٠ وترتبط نظرية المباريات :

بالمحـــــاكاة : Simulations

وأساس المحاكاة فى حالات كثيرة هو مجموعة من الافراد الذين يقومون بدور الوكيل ، وقد يرتبط ذلك ببرامج الحاسب الالكترونى ، وعـــلى سبيل المثال فان المحاكاة قد تتكون من ٧ فرق ، ويتكون كل فريق من فردين أحدهما يمثل عملية صناعة القرارات الخارجية والآخر يمثل عملية صناعة القرارات الداخلية لدولة معنية ٠

وقد يكون هناك فرد أو أكثر يمثلون المنظمة الدولية أو الصحيفة الدولية وتبدأ المباراة على أساس سيناريو ومجموعة من الاوامر ، وقد تعتبر المحاكاة بمثابة محاولة لتكرار الواقع الخارجى والوصول الى فروض ٠

● ● ●

مراجـــع مختـــارة

Doctor, Adi H., *International Relations : An Introductory Study*, New Delhi : Vikas Publications, 1969.

Colard, Daniel, Les Relations Internationales. Paris : Masson, 1977.

Hoffmann, Stanley, *Contemporary Theory in International* Relations, New Jersey : Prentice Hall Inc.. 1960.

Kaplan, Morton, System and Process in International Politics, New York : John Wileys & Sons Inc., 1964.

Lerche Jr., Charles O. & Said, Abdul A., Concepts of International Politics, New Delhi : Prentice - Hall of India, 2nd Ed., 1972.

Kaplan, M.A., New Approaches to International Relations : Progress or Retrogression ? in The Year Book of World Affairs, 1968 London : Stevens & Sons, 1968.

- د. اسماعيل صبرى مقلد ، **العلاقات السياسية الدولية : دراســـة فى الأصول والنظريات** ، مطبعة جامعة الكويت ، كلية التجـــارة والاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٧١ .

- مايلز كوبلاند : « **لعبـــة الأمم** » ، تعريب مروان خير ، بيروت ــ الطبعـــة الأولى ، ١٩٧٠ .

العلاقات الدولية في الإسلام

اجتهد البعض وذهب الى أن الاسلام قسم العالم الى دارين : دار الاسلام ، ودار الحرب ، ويلاحظ أن هذا التقسيم قد تأثر بواقع مؤقت ، فالاسلام يرمى الى توحيد بنى البشر فى ظل نظام قانونى ، هو الشريعة الاسلامية .

ومنذ القرن السابع الميلادى ، أى بدء الاسلام ، بدأ تأثير الاسلام فى العلاقات الدولية ، كما ظهر ذلك واضحا فى الحروب الصليبية التى دامت نحو ثلاثة قرون ..

والاصل فى الاحكام أن الدنيا كلها دار واحدة ، كما قرر الامام الشافعى ، أما الجهاد فى سبيل الله ، فهو لاعلاء كلمة الله : « **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** » (١) .

والباعث على القتال فى الاسلام هو دفع الشر ، وحماية المسلمين : « **اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق ، الا أن يقولوا ربنا الله** » (٢) .. وهكذا لا يهدف الجهاد الى فرض الاسلام على البشر بحد السيف ، فالباعث على القتال هو رد العدوان ، كما أن الرسول الكريم حرم قتل النساء والشيوخ والاولاد .

وتتمثل أهم حالات مشروعية الجهاد فى دفع الاعتداء على المسلمين وديارهم وأموالهم ، وكفالة حرية العقيدة ، وانتشار الدعوة الاسلامية ، ونصرة المظلوم فردا أو جماعة .

والجهاد ليس هجوما ظالما للعالم ، ولا مجرد دفاع عن حدود الوطن المحدود المساحة ، ولكنه وسيلة فى يد الحاكم العادل لحماية نشر الدعوة ، والدفاع

(١) الأنفال : ٣٩ .
(٢) الحج : ٣٩ .

عن المسلمين ، ولذلك فان ابن خلدون لا يعتبر الحرب مشروعة ، الا اذا كانت جهادا في سبيل الله والدين في الخارج ، أو تأديبا للعصاة والبغاة في داخل الدولة ..

واذا بدأ العدو الحرب أعلن الحاكم المسلم الجهاد ، وقد يباشر القتال دون انذار ، واذا توقع الحاكم من العدو خيانة دون قتل أو فساد في الارض ، فلا يقاتل ، وانما ينبذ اليه عهده ، لأن قاعدة المسلمين هي وفاء بعهد من غير غدر خير من غدر بغدر .

وأوصى الرسول معاذ بن جبل وصحبه ، حينما أرسلهم لفتح اليمن فقال « لا تقاتلوهم حتى تدعوهم ، فان أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدءوكم ، فان بدؤكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلا ، ثم أروهم ذلك ، وقولوا لهم : هل الى خير من هذا السبيل ؟ .. فلأن يهدى الله على يديك رجلا واحدا خير مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

وهكذا فالمسلمون لم يشنوا حربا الا بعد الانذار بالحجة والبرهان ، وتخيير العدو بين ثلاث : -

الاسلام - أو الجزية - أو الحرب .

وتنتهي الحرب في الاسلام اما باعتناق العدو للاسلام ، أو الدخول مع المسلمين في صلح مؤقت ، وهو الهدنة ، أو مؤبد وهو عقد الذمة ، وقد تنهى الحرب بالفتح ، أي ضم الدولة المفتوحة الى دار الاسلام ، وقد تنتهي الحرب بترك القتال أو بالانسحاب الجماعي للجيش .

ومن آثار الحرب وجود الأسرى ، وقد استوصى الرسول بهم خيرا ، وقال الفقهاء : لا يجوز تعذيب الأسير بالجوع والعطش .

واذا كان الفيء هو المال الذي يؤخذ من غير قتال أي بطريق الصلح كالجزية أو الخراج ، فالغنيمة هي ما أخذ من أموال أهل الحرب عنوة بطريق القهر ..

وكانت الغنائم تقسم بين الغانمين فى صدر الاسلام ، ودولة بنى أمية وبنى العباس ، ومع قيام الدولة بالمفهوم الجديد أصبحت الغنائم ملكا لهـــا ، ولا يعطى منها للمقاتلين الا على سبيل المكافأة ٠

واذا كانت دار الاسلام هى التى تجرى عليها أحكام الاسلام ويامن من فيها بأمان المسلمين ، سواء أكانوا مسلمين أم ذميين ، فان دار الحـرب هى التى لا تجرى عليها أحكام الاسلام ، ولا يأمن من فيها بأمان المسلمين ٠٠

وحرفت الدعاية المضادة تفســـير بعض الآيات وهى : « **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** » ، أو آية « **فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم** » ، علما بأن هناك آية سابقة تدعو الى العفو عن المشركين ٠٠

والواقع أن الأصل فى النصوص القرآنية أن السلم هو أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم ، واذا وجد اعتداء تكون الحرب ضرورة دفاعا عن النفس ، أو اتقاء لهجوم تكون فيه المبادرة ضربا من الدفاع ، فقال تعالى : « **وان جنحـــوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** » ٠٠ وقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنـــوا ادخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين** » ٠

وعند الشافعية تنقسم الدنيا الى ثلاث دور ـ **الأولى** : دار ســـلام ٠٠ والثانية : دار حرب ، والثالثة : دار العهد وهى التى لم يظهر عليها المسلمون وعقد أهلها الصلح بينهم وبين المسلمين على شىء يؤدونه من أرضهم يسمى خراجا دون أن تؤخذ منهم جزية رقابهم لأنهم فى غير دار السلام ٠

ومنشأ هذه الفكرة حالة نجران ، فقد عقد النبى « صلعم » صلحا مـــع نصارى نجران ، وحالة بلاد النوبة ، اذ تم الفتح الاسلامى لها متاخرا ، وحالة أرمينية ، فقـــد كتب معاوية عهدا لأهل أرمينية أقر فيه بسيادتهم الداخلية المطلقـــة ٠٠

واعتبر جمهور الفقهاء دار العهد دار اسلام ، لأنهم صاروا بالصلح أهل ذمة ، تؤخذ جزية رقابهم ..

وهكذا ، نظم الاســـلام العلاقات الدوليـه فى وقت الســـلم ، ووقت الحـــرب ..

تطـــور النظـــام السياسي الدولي

ظهر النظام السياسى الدولى أول ما ظهـــر فى أوروبا ، وبعد أن انهار نظـــام الاقطاع ، وبرزت الدولة القومية ، أو الوطنيـــة Nation state وبدأت معـــالم النظام السياسى الدولى فى التكوين ، اذ قبل ذلك انتشرت الحروب الدينية فى أوروبا ، وتشكلت معالم النظام الدولي الجديد بالتوصل الي معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨ م ٠ ووفقا لهذه المعاهدة تم انهاء الحـــروب الدينية فى أوروبا ، ومنذ ابرام هذه المعاهدة وحتى مطلع القرن العشرين ، كانت السياسة الدولية مرادفة للسياسة الاوروبيـــة ، ويمكن أن نميز بين مرحلتين أساسيتين من مراحل النظام السياسى الدولى : -

المرحلة الأولي : تمتد منذ ابرام معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨ م حتى أوائل القـــرن العشرين ٠

المرحلة الثانية : من أوائل القرن العشرين حتى الآن ٠

المرحلة الأولى من مراحل النظام السياسى الدولى : -

كانت السياسة الدولية مـــرادفة لاصـــطلاح السياسة بين الأمـــم Politics among nations أى ان اصطلاح السياسة الدولية حديث نسبيا وكانت وحدات التعامل الدولى هى الدولة القومية ، والعلاقات الدولية أصـــلا ووفقا لهذا النظام كانت علاقات حكوميـــة فقط ، وكان حجم التعامل الدولى محدودا ، ولم يكن متعددا كما هو عليه حاليا فى المرحلة الثانيـــة ٠٠ وكانت أيديولوجية الدولة القومية تركز على السيادة الوطنية ، وعـــدم التدخل فى شئونها الداخلية ، نظرا لأن مفهوم الدولة كان حديثا نسبيا ، فكانت كل دولة وطنية حساسة تجاه سيادتها ، وبالتالى كانت تحافظ عليها وتقاوم أى تدخل فى شئونها من قبل الدول الوطنية الأخرى ، واعتبرت الامبراطورية العثمانية رجل أوروبا المريض ، أما أقوى الدول فكانت تقع فى أوروبا الغربية ، وبالتالى كان مركز الثقل فى النظام الدولى ينحصر فى أوروبا مثل بريطانيا وفرنسا

وهولندا ، ووفقا لهذا النظام ، كانت الصراعات لا تتعدى الحدود الاقليمية فى أغلب الأحيان ، ولذلك فان تدويل المنازعات الداخلية لم يكن من سمات هـذا العصر ، وكان طابع الصراع لا يتسم بالجانب الايديولوجى ، وكان يرجع فى كثير من الأحيان إلى الصراع بين العائلات المالكة • وقد أعطى هذا مرونة فى التحالفات الدوليـــة فى ذلك الوقت ، أى امكانية الدخول أو الانسحاب من التحالفات الدولية •• ونظرا لأن الخلاف كان بين العـائلات المالكة فكان من السهل أن تدخل دولة معينة تجمعا معينا ثم تنسحب منه وفقا لأهواء العائلة المالكة ، وكانت الثقافة فى هـــذا النظام أساسا ثقافة اقليمية ، ولذلك فان الانتشار الثقافى كوسيلة للتأثير السياسى فى هـــذا العصر كان قليـــلا ، وكانت صراعات المصالح يمكن تسويتها فى بعض الاحيان عن طريق التفاوض ، ولم تكن هناك مؤسسات دولية يمكن الرجوع اليهـــا ، ومن ثم فى حالة تعذر حل الصراع كانت الحرب هى الوسيلة التى يتم الرجوع اليها ، وكانت التفرقة بين الحرب والســـلام واضحة ، اذ لم يكن هنـــاك فى هـذا النظـــام حالة اللا حرب واللا سلم ، أو حالة النصف حرب والنصف سـلم ، كما هو سائد فى الوقت الحالى ••

وقد تميزت الحرب فى المرحلة الأولى بعدة خصائص أهمها :

١ ـ أن القدرة على الهجوم المفاجىء كانت محدودة •

٢ ـ ان الدولة التى تتعرض للهجوم كانت لديها فرصة كافيـة لتعبئة قواها فى مواجهة أعدائها •

ورغم أنه كان هناك اعتراف بنظام الحرب فان آثارها التدميرية لم تصل الى الحد الذى يجعل الدول تستبعد الحرب كأداة لحل منازعاتها ، وفيمـــا يتعلق بعـــدد الحروب ، فقـــد نشبت فى العالم ٢٧٨ حربا فيمـــا بين عام ١٥٠٠ ـ ١٩٤٠ م • مما يبين مدى شيوع الحـــرب وفقا للنظام الدولى فى المرحلة الأولى :

المرحلة الثانية من مراحل النظام السياسي الدولي :

بدأت المرحلة الثانية منذ بداية القرن العشرين ، والبعض يبدأها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ م . وتتميز هذه المرحلة بعدة خصائص : -

اولا - زيادة عدد الأطراف في الفترة بعد الحرب العالمية الثانية ، وتميزت أيضا بظاهرة تصفية الاستعمار أو انحساره decolonization وعلى هذا الأساس امتدت الحدود الجغرافية للنظام السياسي الدولي لتشمل العالم كله تقريبا ، وبالتالي تغير المفهوم الخاص بالوضع الاستراتيجي للدولة ، نظرا لتدخل عوامل عديدة سنشرحها فيما بعد .. المهم أن النظام السياسي الدولي حتى ما بين القوى المؤثرة امتد ليشمل دولا أخرى خارج القارة الأوروبية وبروز الولايات المتحدة كقوة عظمى في العالم super power بالاضافة الى بروز الاتحاد السوفيتي ، ثم الصين الشعبية ، ويفسر ذلك بنظام القطبين الثنائيين Bipolar system وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، أو نظام الاستقطاب Polarization وبعد أن كان مركز الثقل في أوروبا أصبح مركز الثقل أساسا في خارج أوروبا بالاضافة الى أوروبا ، وهذا يؤكد ما قاله الرسميون البريطانيون في أعقاب الحرب العالمية الثانية أن دولة مثل بريطانيا أصبحت دولة من الدرجة الثانية ، أي أصبحت هناك قوى أهم منها وهي الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتي ، وتحول النظام الاستقطابي ، وهو ما عرف بتعاون الاقطاب الى نظام تعدد الاقطاب

Multipolar system, Polycentrizm

وفي أعقاب تعدد الاقطاب ظهرت الدول الجديدة new states وبخاصة في قاوتي آسيا وافريقيا ، الأمر الذي أضفى طابع التعقد في وحدات النظام السياسي ككل وان كانت امكانيات الدولة الجديدة أو الحديثة العهد بالاستقلال newly independent امكانيات محدودة نسبيا ، ولذلك فان وزن هذه الدول في السياسة الدولية كثيرا ما يكون وزنا معنويا ، كما أن الزعامة في هذه

الدول فى أعقاب الاستقلال تميزت أساسا بما يسمى بالزعامة الخارقة أو الزعامة الكارزمية Charismatic Leadership و الزعامة الكارزمية ترتبط بمواجهة الاحتياجات الفعلية للنظام السياسى الدولى ، فمثلا الزعامة الفرنسية الحالية والزعامة البريطانية الحالية ، وكذلك السوفيتية هى زعامة عادية . أما الزعامة الخارقة فمن أمثلتها : مصر فى عهد عبد الناصر ، وغانا فى عهد نكروما .

ويمكن أن نفرق بين مصطلحات ثلاثة : السياسى Politician ، وعالم السياسة Political scientist ، ورجل الدولة Statesman

١ - **السياسى** Politician هو الشخص الذى يشارك فى الحياة السياسية سواء من خلال الاحزاب ، أو جماعات الضغط ، أو الجماعات المصلحية ، أو يؤثر فى الرأى العام ، لا سيما اذا كان تأثيره سياسيا ، ولا يكون موضوعيا فى معظم الأحيان ، « وزير الخارجية الامريكى السابق كيسنجر وهو أصلا أستاذ فى العلوم السياسية وعندما أصبح مستشارا للأمن القومى أو وزير الخارجية الامريكية ، فالمفروض فيه أن ينحاز للسياسة الامريكية بغض النظر عن الاعتبارات الموضوعية التى كان يقوم بتدريسها لطلبته فى الجامعات » .

٢ - **عالم السياسة** Political Scientist : هو المتخصص فى الدراسات السياسية ، وقد يكون خبيرا أو باحثا فيها ، ومن المفروض أن مخرجاته وأبحاثه تتسم بالموضوعية والدقة فى ابراز الوقائع ، ولا يدافع عن وجهة نظر معينة ، واذا كان يؤيد وجهة نظر معينة فعليه أن يعرض مختلف الوجهات الأخرى ، ثم يعرض وجهة نظره هو .

٣ - **رجل الدولة** Statesman : هو قمة النظام السياسى فى الدولة ، سواء كان شخصا أو مجموعة أشخاص ، وقد يكون رئيس دولة أو حكومة أو ملك ، وقد يكون هؤلاء الثلاثة مجتمعين ، وفى بعض الحالات يجمع الفرد بين عالم السياسة وبين السياسى .

ومن الخصائص التى تميزت بها هذه المرحلة ، بروز المنظمات الدولية التى يطلق عليها أحيانا المؤسسات فوق الدول Super national institutions بمعنى أنها شكل من أشكال التجمع الدولى ، يضم عددا كبيرا من الدول نسبيا ويختلف هذا العدد فى الوزن النسبى ، الا أن هناك بعض الكتاب يذهبون الى القول أن المؤسسات ما فوق الدول لم توجد بعد ، نظرا لأن هذه المؤسسات تعنى فى رأيهم ارادة أعلى من ارادات الدول ، واذا اتخذت هذه الارادات قرارات فيتعين على الدول الانصياع لها والخضوع لها ٠

ويمكن أن تثـــار هنا قضية السيادة القومية ، فمن الناحيـــة القانونية الدولية ، هنـــاك مساواة فى السيادة بين الدول ، وهو من أهم مبادىء منظمة الأمم المتحدة ، لكن من الناحية العملية والواقعية يختلف الوضع ، فامكانيات الدولة هى الترجمـــة العمليـــة لسيادة الدولة ، فكلما كانت امكانيـــات الدولة قوية نسبيا ، كلما ساعدها ذلك على أن تحافظ عـــلى سيادتهـــا ، والعكس صحيح ٠

وتميزت هذه المرحلة بالتنوع فى وسائل تنفيذ السياسات الخارجية : ـ

بمعنى أنه أصبح هناك وسائل عديدة فى تنفيذ السياسات الخارجيـــة ، كالوسائل السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية أو الثقافية أو الاجتماعية أو الاعلامية ٠٠ فبعد أن كانت الحرب هى الوسيلة الأساسية فى النظام السياسى الدولى فى المرحلة الأولى ، أصبحت الحرب مجرد وسيلة من وسائل عديدة فى المرحلة الثانية من مراحل النظـــام السياسى الدولى ، وان كان القانونيون يطلقون على النظام الدولى : المجتمع الدولى ٠

المهم ، أن القوة فى النظام الدولى لم يعد ينظر اليها على أنها مجرد التفوق فى امكانيات العنف المادى ، أو القوة المسلحة ، كما كان ذلك سابقا ، وانمـــا أصبحت القوة عبارة عن المحصلة النهائية لعوامل عديدة مثل قوة الدبلوماسية

والدعاية ، ومدى كفاءة التنظيم السياسى والادارى بالاضافة الى الجوانب المعنوية أو النفسية ٠

وتميزت هذه المرحلة كذلك بتزايد دور الرأى العام فى السياسة الدولية :

بعد أن كانت السياسة الدولية هى أساسا سياسة يضعها الملوك ، أصبح هنـــاك اليوم وفى كثير من الحالات سياسة تضعها فئات كثيرة ، كما أن دور الرأى العام أصبح أكثر أهمية من ذى قبل فى صناعة السياسة الدولية والتأثير عليها واتخاذ مواقف بصددها ، كما برز دور الايديولوجية فى السياسة الدولية وان كان يمكن القول بشكل مبدئى أن الايديولوجيـة كثـيرا ما كانت اطارا مظهريا للسياسة الدولية ٠ وعلى سبيل المثال : ففى النزاع الصينى السوفيتى نجد السوفييت يتهمون الزعماء الصينيين بأنهم « محرفون » وأنهم عدلوا عن « المـاركسية اللينينية » ، وفى نفس الوقت يتهـم الصينيون ما يسمونهم بالعصابة الحاكمة Clique فى موسكو بأنها أيضا « محرفة » وعدلت عن الماركسية اللينينية ٠٠ ويلاحظ أن الاتهام من أى من الطرفين موجه الى القادة والزعماء وليس الى الشعوب ، وهكذا يتبـين لنا أن الايديولوجية عامل من العوامل المؤثرة فى السياسة الدولية ٠ كما أصبح للصراعات الداخلية دلالة دولية ، فالصراع العرقى أو العنصرى من الصراعات التى كان لها دلالة دولية والصراع بين المتدينين فى الاتحاد السوفيتى وبين الشيوعيين ، أخذ صفة دولية بعد قيام الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ ، وما زال هـــذا الصراع سائدا حتى اليوم ، وان كان قد مر بمراحل متنوعة ، حيث يضطهد على وجـه الخصوص المسلمون والمسيحيون الارثوذكس واليهود ، وتنتهك الحريات الدينية ، وان كان الدستور السوفيتى ينص على حرية الفرد فى اعتناق العقيدة التى يرغب فيهـــا ٠٠ وشتان بين القـــول والقانون من جانب ، والممارســـة والتطبيق من جانب آخـــر ٠

ومن مميزات الحرب في المرحلة الثانية :

١ - أصبح للهجوم المفاجيء اهمية ضخمة رغم أنه كان قليل الاهمية نسبيا في المرحلة الأولى .

٢ - الضربات الأولى قد تكون قاتلة ، ومن هنا برزت أهمية ما يسمى بامكانية الضربة الأولى First strike capability أي انه في الحرب ، وفقا للنظام الدولي في المرحلة الثانية أصبح للضربة الأولى امكانيات ضخمة قد تؤدي الى قتل الخصم ، ولذلك سميت بالضربة القاتلة وان كان ذلك قد تغير بعد التطور التكنولوجي وظهور ما يسمى بامكانية الضربة الثانية أما في المرحلة الأولى من مراحل النظام السياسي الدولي ، لم يكن الحال كما هو هنا في هذه المرحلة .

٣ - كما أن التناسب بين قوة الدولة العسكرية والشعور بالأمن لم يعد يتناسب طرديا كما كان الحال من ذي قبل .

وقد تدعونا هذه النقطة الى الحديث أو الاشارة الى :

ميزان الرعب الذري أو ما يسمى الرعب النووي الذي أعاد الاهمية للأسلحة التقليدية « ميزان الرعب النووي » Balance of nuclear terror حيث بدأ الاستخدام الفعلي للسلاح الذري في أغسطس سنة ١٩٤٥ ، عندما ألقت الطائرات الامريكية السلاح الذري على مدينتي هيروشيما ونجازاكي ، وبعد ذلك توصل الاتحاد السوفيتي الى السلاح الذري ، وقبل أن يتوصل الاتحاد السوفيتي الى السلاح الذري كانت أمريكا تحتكره ، لكن بعد أن توصل الاتحاد السوفيتي اليه أصبح هناك توازن ذري بين القوتين ، وقبل ذلك كان هناك عدم توازن ، بعد ذلك بدأت الولايات المتحدة في تطوير السلاح الذري والوصول الى القنبلة الهيدروجينية ، ثم لحقها الاتحاد السوفيتي ، ولذلك فان التطور من القنبلة الذرية الى الهيدروجينية غير اسم التوازن ، فبعد أن كان

هنـــاك ميزان فى الرعب الذرى ، أصبح هنـــاك ميزان فى الرعب النووى : Balance of nucleer terror ، وترتب على هـــذا التوازن أن استخدام الســـلاح النووى ـ من الناحية الفعلية ـ أصبح شبه مستحيل ، ان لم يكن مستحيلا بالفعل ٠

ومن هنا عادت الأهمية الى السلاح التقليدى ، فان كان الســلاح النووى عامل قوة فى السياسة الدولية الا أنه لا يستخدم بشكل فعلى ٠٠ ومن هنا نجد أن الاسلحة المستخدمة حاليا فى الحـــروب هى أساسا أسلحة تقليدية متطورة ، وترتب على ذلك بروز ما يسمى بدول «النادى الذرى» التى توصلت الى هذا السلاح وهى : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وفرنسا وانجلترا والصين الشعبية ، وغيرها ٠

وفى النهاية ، فان السياسة الخارجية فى المرحلة الثانية تميزت بالترشيد Rationalization أو الرشادة اذا قورنت بالمرحلة الأولى ٠

● ● ●

مراجـــع مختـــارة

Padelford, Norman J., Lincoln, George A., Olivey, Lee C., *The Dynamics of International Politics*, New York : Macmillan, 3rd Ed., 1976.

Doctor, Adl H., *International Relations, An Introductory Study*, New Delhi : Vikas Publications, 1969.

Kaplan, Morton, *System and Process in International Politics*, New York : John Wiley & Sons, 1964.

Colard , Daniel, *Les Relations International*, Paris : Masson, 1977.

د٠ اسماعيل صبرى مقلد ، **العلاقات السياسية الدولية ، دراســـة فى الأصول والنظريات** ، مطبعة جامعة الكويت ، كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٧١ م ٠

العوامل المؤثرة فى السياسة الدولية

اولا ـ الديناميات الاجتماعية : Social Dynamics

يركز هـــذا العامل على البعد الاجتماعى للظاهـرة السياسية ، فالبشر يعيشون فى جماعات انسانية Human Groups متباينة حيث تختلف ظروف التنشئة Socialization وما يرتبط بها من قيم ومعتقدات Values and Beliefs وهذا يؤثر بدوره على الاتجاهات والمواقف السياسية ، ويضفى أثرا فى السياسة الدولية ٠

ويثير بعض الكتاب فى هذا الصدد نقطتين اساسيتين هما :

١ ـ التوجه الأساسي للانسان تجاه البيئة

Basic orientation of man towards his environment.

٢ ـ الصور النمطية

Picture of minds or stereo-typed Images

وفيما يتعلق بالصور النمطية ، فهى عامل يفسر بالتنشئة والتربية وما يرتبط بهـــا من قيم ومعتقـــدات ، الأمر الذى يؤثر على الاتجاهات والمواقف السياســـية ٠

مثال : هناك صور نمطية للشخص العربى لدى الأوروبى ، تولدت نتيجة عوامل عديدة ، ومثل هذه الصورة النمطية يمكن أن نسميها أيضـــا قوالب جامدة من الصعب تغييرها ، وبعبارة أدق يمكن تغييرها ببطء ، وهذه الصور النمطية تؤثر فى الاتجـــاهات والموقف السياسى ، وبالتـــالى فى السياسة الدولية ٠ وهذه العوامل يمكن أن تساعدنا فى تفسير السلوك السياسى فى

المجال الدولى لرئيس دولة أو لشخص عسكرى مثل «منجستو» فى أثيوبيا ، أو «ماوتسي تونج» فى الصين الشعبية ، أو «لينين» فى الاتحاد السوفيتى ، أو هتلر فى ألمانيا ، أو موسولينى فى ايطاليا ، أو «نكروما» فى غانا ، وهكذا فان البيئة الاجتماعية والميراث الثقافى يساعد على تشكيل قيم الفرد • وهنا تأتى ظاهرة التفضيلات Preferences فى المواقف السياسية ، وهـذا يساعدنا على تفسير سعي بعض الزعماء السياسيين الى تجنب السياسات والأفعال التى لا تتمشى مع القيم والمعتقدات السائدة لدى شعوبهم • وهناك بعض العوامل التى ينبغي أخذها في الاعتبار وهى الدين والنظام الاقتصادي والقوى النسبية للجماعات المختلفة داخل المجتمع ، وقد أجريت دراسات ميدانية فى الغرب ، أثبتت أن الدين يؤثر في الاتجاهات والمواقف السياسية حتى ولو كان الفرد لا يؤدى الشعائر الدينية ، ونظرا لأن الدين عامل من عوامل التنشئة والتربية ويقدم الكثير من القيم والعقائد •• واذا أردنا أن ندرس هذه الظاهرة فى اطار دولى فيمكن تقسـيم المجتمعات الى ثـلاث تقسيمات أو مراحل من التنظيم الاجتماعى Three stages of social organization وهى : -

١ - المجتمع التقليـدى Traditional Society

٢ - المجتمع الانتقـالى Transitional Society

٣ - المجتمع الحـديث Modern Society

المجتمع التقليدى : Traditional Society

يتميز المجتمع التقليدى بأن العلاقات البشرية فيه محدودة نسبيا ، ويقوم الاتصال فيه على أساس العلاقات الشخصية والأسرية والعادات المحليـة ، والمكانة غالبا ما تورث فابن شيخ القبيلة له مكانة معينة حتى ولو كان محدود الأفق أو على قدر ضئيل نسبيا من القدرات العقليـة • ولا يركز فى المجتمع التقليدى على المكانة المبنية على أساس القدرات الا بشكل محـدود نسبيا ، ونتيجة للظروف الاضطرارية التى يمر بها المجتمع ، ولذلك فان النخبـة فى

المجتمع التقليدى يمكن أن نسميها نخبة تقليدية ٠٠ ولا ينظر بعين الاعتبار للنخبة الحديثة ، بمعنى الكفاءات الجديدة فى المجتمع ، التى وجد نتيجة للظروف التى يتطور بها المجتمع « القبائل النيجيرية يتضح فيها هذا المثال جيدا » ٠

المجتمع الانتقالى : Transitional Society

يسود هذا المجتمع معظم الدول النامية ، وهى مرحلة وسط ما بين التقليدية والحديثة ، ويمكن أن نجد مثل هذه المجتمعات فى مصر والهند ٠٠ ويجمع هذا المجتمع خصائص من المجتمع التقليدى وبعض خصائص المجتمع الحديث ، فمن الأول يأخذ تأثير العلاقات الخاصة فى تقدير المواقف ، وكذلك العصبية القبلية ، ويأخذ من المجتمع الحديث تكافؤ الفرص فى بعض الأحيان وبروز النخبة الحديثة التى اقتضتها ظروف المجتمع ، وكذلك وصول بعض الأفراد العاديين الى الحكم ٠

المجتمع الحديث : Modern Society

يرتبط نظريا بتكافؤ الفرص والمكانة الاجتماعية القائمة على أساس الوزن المؤثر فى المجتمع ، والدور المؤدى فى المجتمع ، وفى نفس الوقت يؤخذ بدرجة كبيرة بمعيار الانتاجية للتمييز بين الأفراد والمجتمعات ٠

لكن هذا المجتمع ارتبط ببعض السلبيات مثل الانحرافات الخلقية وزوال دور الأسرة فى المجتمع ، كما أن العوامل الشخصية والضغوط الاقتصادية كثيرا ما عاقت المبادىء النظرية للمجتمع الحديث ٠

وتؤثر خصائص هذه المجتمعات على السياسة الدولية سواء كان هذا التأثير على مستوى الزعامات أو كان هذا التأثير على مستوى الجماهير ، ففيما يتعلق بالزعامات ، فان خصائص المجتمعات التى تنتمى اليها الزعامة تنعكس بدرجة أو بأخرى على مواقفها فى المجال الدولى ٠٠ كما أن خصائص

الجمـــاهير تحـــدد دورها فى التأثير عـــلى القرارات فى السياسة الدولية من عـــدمه ..

وهـذا يساعدنا على تفسير التناقضات فى العلاقات الدولية والصعوبات التى تواجه صناعة السياسة الخارجية وتنفيذها فى المجال الدولى .

ثانيا ـ العامل الجغرافى :

تتاثر الظاهرة السياسية بعديد من العوامل منها العامل المكانى ، وهـذا لا يعنى أن العامل المكانى هو المؤثر الوحيد فى الظواهر السياسية ، ولكن هناك عوامل أخرى تؤثر فى الظاهرة السياسية ، سنتناولها فيما بعد ، ونحن هنا نركز عـــلى ما يذهب اليـــه الكتاب بمـــا يسمى بالعامل الجيوبوليتيكى : Geopolitic factor ويمكن أن نشرحها بطريقة أخرى وهى أن العامل الجيوبوليتيكى يشرح العلاقة بين البيئة الطبيعية والسياسة :

Relations between physical environment and Poltics

وهناك من يرى أنه فيما يتعلق باستخدام الجغرافيا لدراسة الشئون الدولية ، فان الجغرافيا السياسية تعنى بدراسة تغير الظاهرة السياسية من مكان لآخر ، طبقا للتاثر والتفاعل المتبادل بينهـــا وبين مختلف ظواهر البيئة كموطن للانسان :

Geography as an approach to international Affairs)
Political geography is the study of the variation of political phenomena from place to place in interconnection with variations on orther features of the earth as the home of man.

خرج من هذا بان الفكر الجيوبوليتيكى أثر وتاثر بالسياسة الدولية .

ماهان والقوة البحريه Mahan and Sea Power

يتعرض ماهان للقوة البحرية Sea Power وهو هنا يعكس الواقع

الدولى فى ذلك الوقت ، ففى هذه الفترة كانت السيادة فى المقام الأول للدول البحرية ، وكان يقصد بالذات بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ، على اساس ان هذه القوى لم يكن لديها حدود برية Land Frontier اما القوى القارية Continent Power فهى التى لها حدود برية مثل المانيا وفرنسا ، وهذه القوى القارية لديها حدود أرضية ، وبالتالى فعليها أعباء اقتصادية خاصة بالانفاق العسكرى اللازم للدفاع عن هذه الحدود الأرضية ، وهذه الأعباء لا توجد بالنسبة للقوى البحرية ، نظرا لأن حدودها أساسا هى البحار ، وبالتالى توصل « ماهان » الى أن القوة الأساسية فى العالم هى القوة البحرية .

ماكندر ومركز الأرض : Mackinder and the Heartland

هو جغرافي وسياسي انجليزى ١٨٦١ - ١٩٤٧ م . ساهم فى تطوير الفكر الجيوبوليتيكى الحديث . واعتبر ماكندر أن أوروبا وآسيا وافريقيا بمثابة « الجزيرة العالمية » : The World Island

واعتبر أن قلب هذه المنطقة عبارة عن المساحة الداخلية فى أوروبا وآسيا وتمتد من المانيا الغربية والأجزاء الواقعة من الاتحاد السوفيتى فى أوروبا حتى وسط سيبيريا .

واعتبر الجزء الذى يمتد من شرق سيبيريا حتى جنوب شرق آسيا والهند والشرق الأوسط وأوروبا الغربية ، وتشمل النرويج ، بمثابة الهلال الداخلى Inner Crescent أو حافة الأرض Rimland واذا اضفنا الى ذلك أفريقيا - فانه يطلق على كل هذا «الجزيرة العالمية» The World Island أما المساحة الواقعة فيما وراء ذلك ، وتشمل الامريكيتين ، فاعتبرها الهلال الخارجى : Outer Crescent

وقد انتقد « ماكندر » لأنه غض النظر عن اعتبار الولايات المتحدة قوة عظمى • ولذلك طور فكره واعترف فيما بعد بما يسمى North Atlantic Heartland واعتقد « ماكندر » أن عصر سيطرة القوة البحرية على وشك الانتهاء Premissile وفى العصر السابق على الصواريخ اعتقد « ماكندر » أن Eurasian Heartland لن يتعرض للهجوم ، وبامكانياته الكبيرة ، واليد العاملة ، سيكون قادرا على تكوين قوى كبرى ، واعتبر أن الأشياء الأخرى متساوية ، أى ان قلب الارض Heartland هو المساحة الاساسية فى العالم ••

وبناء على ذلك ، اقترح « ماكندر » الفرضيات التالية : -

— من يحكم شرق اوروبا يحكم قلب الأرض

— Who rules East Europe commands the Heartland.

— من يحكم قلب الأرض يحكم الجزيرة العالمية

— Who rules the Heartland commands the World Island.

— من يحكم الجزيرة العالمية يحكم العالم

— Who rules the World Island commands the World.

سبيكمان والموقع الامريكى : Spykman and American's Position

اهتم البروفسور « سبيكمان » ١٨٩٣ - ١٩٤٣ م بالعلاقة بين العوامل الدولية الجغرافية والسياسية والوضع الاستراتيجي للولايات المتحدة والسياسة الخارجية الامريكية وأكد على أهمية الدول التى تحيط بقلب الأرض Heartland وعمل على أن تمتد القوة الامريكية لمنع الاتحاد السوفيتى من السيطرة على حافة الارض التى على حافة قلب الارض Rimland

أما « كوهن » فقد أتى بما يسمى المنهج المعاصر

Cohen, A Contemporary Approach

فى الجغرافيا السياسية وقسم العالم الى أقاليم جيواستراتيجية
Geostrategig Regions

واعتبر أن هناك أقليمان مسيطران وهما :

١ - العالم البحرى الذى يسيطر على التجارة

1 - Trade - dependent maritime world.

٢ - القوى القارية الأوروبية الآسيوية

2 - Eurasian contiontal Power Shatterbelts

ويواجه الأقليمان بعضهما البعض فى ما أطلق عليه الاحزمة القابلة للتحطيم « أى الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا » ، ولذلك فهو يدعـــو الى تكوين تحالفات لتأكيد أمن الغرب .

كارل هوسهوفر : Karl Haushofer ١٨٦٩ - ١٩٤٦ :

هو جغرافى ألمانى ، وكان له تاثير على الفكر النازى ، وركز على القول أن الدولة هامة فى حد ذاتها ، وان القوة Power اهم شىء فى الدولة ، ولذلك دعا الى قيام مكان لمعيشة الجنس الجرمانى السامى ، مع الاكتفاء الذاتى فى الموارد المادية والسيطرة على : European Heartland .

العوامل الجغرافية والشئون الدولية :

١ - الطوبوغرافيا ونظام الدولة : Topography and State System.

تؤثر الطوبوغرافيا فى السياسة الدولية ، اذ انها تدرس شكل الأرض ، وما اذا كان هذا الشكل منبسطا أو اذا كان غير منبسط ، وما اذا كان هناك تضاريس وموانع طبيعية تعوق نظم الاتصالات فى الدولة ونظم العلاقات بين الكائنات البشرية فيها ، فمثل هـــذه المسائل الخاصـــة بشكل الأرض ، او الطوبوغرافيا تشكل نوعا من التحديات - ان صح ذلك التعبير - التى تواجه

النظام السياسى فى الدولة ، كما انهـــا فى نفس الوقت تؤثر على السياسة الخارجية للدولة ٠

فالمملكة المتحدة ، مثلا ، أو ما يسمى ببريطانيا العظمى ، تتكون من مجموعة من الجزر ، وليس لديها حدود أرضية ، فكان من الطبيعى أن يؤثر هذا العامل على السياسة الخارجية البريطانية ، ويساعد فى تفسير الحركة الاستعمارية البريطانية مع عوامل أخرى ٠ ووضعية اليابان كمجموعة من الجزر أثر عـلى النظام اليابانى ، بالاضافة الى عوامل أخرى وذلك لمواجهة مشاكل التضاريس ومحاولة التغلب عليها فى اطار زيادة الانتاجية ، كما أن هذا العامل أثر بالطبع على السياسة الخارجية اليابانية ٠٠ والوضعية الطبوغرافية لاسرائيل كدولة مفروضة بالقوة ، ووجود وضعية طبوغرافية بعد قيامهـــا فى عام ١٩٤٨ م ٠ جعلت السياسة الاسرائيلية تثير قضية الأمن ، وذهبت هذه النظرية الى أن مفهوم الأمن هذا يحتاج الى ما سمى « بالحدود الآمنـــة » ، ولكن التطـــور التكنولوجى ، والتطور فى صناعة الاسلحة قد قلل من أهمية العامل الطبوغرافى نظرا لأن هذا التطور قد قضى بدرجة معينة على عوائق الطبيعـــة والعوائق الطبوغرافية ، وبالتالى لم يعد مفهوم الأمن مفهوما جغرافيا بقـــدر ما هو فى حاجة الى نوع من القبول والتراضى بين الشعوب التي تعيش في الدولة التى تعانى من قضايا حدود أو قضايا أمن ٠

عامل الحـــدود : -

الحـــدود بالنسبة للدولة الوطنيـــة National State مستلزم من مستلزمات قيام الدولة وعنصر من عناصر قيامها ، ورغم أن الحدود بطبيعتها وهمية ، الا أنهـــا أصبحت قضية حيوية من قضايا النظم السياسية ، وقضايا العلاقات الدولية ، وقد كان الصراع على الحدود ، ولا سيما فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، من العوامل المفسرة فى كثير من الاحيان للعـــلاقات

الدولية ، وما زالت الصراعات على الحدود في عالم اليوم من القضايا الرئيسية في العلاقات الدولية المعاصرة ٠

فالصراع على الحدود بين الصين والاتحاد السوفيتي ، ورغم ما يقال عن أيديولوجية مشتركة ، يفسر لنا في حالات كثيرة ضمن عوامل أخرى ، طبيعة العلاقات الصينية السوفيتية ، والصراع على الحدود في أفريقيا ، وهذه الحدود قد خلقها التقسيم الاستعماري ، حتى أن القبيلة الواحدة في أفريقيا كانت تقسم الى جزأين : جزء ينتمي الى دولة ، وجزء آخر ينتمي الى دولة اخرى ٠٠ ولذلك فان ميثاق منظمة الوحدة الافريقية ، ينص ضمن ما ينص على بقاء الحدود على ما هي عليه ، في محاولة للتقليل من الصراعات الافريقية ، ورغم ذلك ، فان قضايا الحدود ما زالت قضية رئيسية من قضايا الصراعات الافريقية ، ونذكر من هذه الصراعات : الصراع الاثيوبي الصومالي على الحدود ٠

توزيع الموارد وامنها وما يرتبط بها من قضية الطاقة والغذاء : ـ

Resource Security

يلاحظ أن الجغرافية الاقتصادية للعالم تبين أن توزيع الموارد يكثر في بعض المناطق وفي بعض الدول ، ولا سيما في المناطق النامية في القارتين الافريقية والآسيوية ، بالاضافة الى بعض الموارد الطبيعية الضخمة في أمريكا الشمالية ، والاتحاد السوفيتي ، وأوروبا ٠٠ واذا كان توزيع الموارد قضية من قضايا القوة في العلاقات الدولية ، الا أنه بمفرده ليس كافيا لتفسير العلاقات الدولية ، ولا سيما اذا كانت الموارد غير مقترنة بالتقدم التكنولوجي٠ فالدول العربية البترولية لديها وزن يعتد به في النظام الدولي بسبب البترول الا أن عدم وجود الكفاءات ، والكوادر الفنية ، والتقدم التكنولوجي ، يقلل نسبيا من امكانياته في النظام الدولي ٠٠ واذا كانت هذه الدول غنية بالدولار البترولي ، الا أنها في عداد الدول المتخلفة ٠ فالتركيب البنياني لاقتصادياتها

يبين أن مساهمة الموارد الاستخراجية هى الركيزة الاساسية لاقتصادياتها ، وبالتالى فان أى تقلب فى أسعار هذه السلع الاساسية يؤثر انتعاشا وانكماشا على اقتصاديات هذه الدول ، وكان ما يصنع أو يتحكم في قرارات اقتصاديات هذه الدول هو الذي يتحكم فى الدولار البترولي ، أى أنه مصدر خارجى ، وهذا يساعدنا على تفسير الاتجاه الدولى نحو ايجاد نظام نقدى دولى جديد هو ما يسمى بنظام « سلة العملات » ، أو فى ايجاد نوع من العملة الجديدة للتعامل الدولى ، حتى لا تتأثر دول مثل الدول البترولية ٠٠ لكن هذا النظام المقترح لم يلق قبولا بعد ، اذ أن الدول البترولية العربية ما زالت متمسكه بدولار الولايات المتحدة ، وترفض أى نظام نقدى ، ولها عذرها فى ذلك ، نظرا لأن قضايا العملة الدولية وبالذات العملة الصعبة ، قضية حيوية بالنسبة لدول البترول ، وأى نظام جديد يثير فى البداية نوعا من التحفظات ٠

ويتحدث كتاب العلاقات الدولية فى الغرب عن الحظر البترولى العربى عام ١٩٧٣ م ٠ ويذكرون فى هذا الصدد الدور البارز للملك « فيصل » ، اذ أنه استطاع ـ لأول مرة ـ أن يعبىء العرب لاستخدام هذا السلاح فى وجه الغرب والولايات المتحدة الامريكية ٠

وقد استنتجت هذه الدراسات مدى وجود بعض الامكانيات للدول البترولية العربية ، مما جعل هذه الدول تمارس نوعا معينا من المقاطعة أو الحظر فى العلاقات الدولية لم يمارس من قبل ، رغم امكانيات القوى الكبرى وبالذات امكانيات الولايات المتحدة الامريكية ، وخاصة فى المجالين : التكنولوجى والعسكرى ٠

نظرية المناخ : ـ

يتحدث بعض الكتاب ، خاصة الفرنسيون منهم ، عن نظرية المناخ فى العلاقات الدولية ، ويتعرضون لتقسيم العالم الى مناطق حارة ومناطق مدارية ،

ومناطق معتدلة دافئة ومناطق باردة ٠٠ ويضيفون أن الدول المتقدمة تقع فى المناطق البـــاردة ، وان الدول المتخلفة تقع فى المناطق الحارة ، أما المنطقـة الحرجة وهى الواقعة بين الحارة والباردة « والعالم العربى جزء منها » ، فهى منطقة وسط ما بين التقدم والتخلف ، ويحورون هذه الحقائق لخدمة دعاوى عنصرية ، ويذهبون الى أن هناك بعض الاجناس غير مؤهلة للتقدم ، وبعضها مؤهل له ٠٠ وواضح أن هذه دعاوى عنصرية فى المقام الأول ، فقـــد أثبتت الوقائع التاريخية والاقتصادية ، بل والانثروبولوجية ، أنه بين كل الاجناس يوجد ذوو القدرات العالية ، والقدرات المتوسطة ، والقدرات الدنيا ٠٠ غاية الأمر أن هنـــاك ظروفا معينة تساعد جنسا معينا وتعوق جنسا آخر ، ومنها « المنـــاخ » ، فلا شك أنه يشكل تحـــديا بالنسبة للأجناس القاطنـــة فى المناطق الحارة ، وبالتالى فالقضية فى الاساس هى قضية غير عرقيـــة ، وهى فى المقام الأول قضية امكانيات وظروف ، ولا يجب بأى حال من الأحـــوال أن تستغل هـــذه النظرية للادعاء بتفوق جنس عـــلى جنس آخر ،أو عنصر على عنصر آخر ٠

ثالثا ـ العامل الديموجرافى : ـ

ممـــا لا شك فيه أن الامكانية الديموجرافية Demographic Capability عامل من عوامل القوة ، لكن هذه القوة ليست مطلقة بأى حال من الاحوال ، بمنظورها الديموجرافى ، والقضية لها عدة أبعاد ، وقد بينت آخر الاحصائيات سنة ١٩٧٦ أن سكان العالم بلغ أربعة آلاف مليون نسمة ومعدل الزيادة ٣٪ ، ويحاول بعض الكتاب أن يفسر الدول من منظور العامل الديموجرافى ، فهناك بعض الدول التى يزيد عدد سكانها عن ٨٠٠ مليون كالصين ، و ٦٠٠ مليون كالهند ، وهناك بعض الدول التى يزيد عدد سكانها عن ١٠٠ مليون كاليابان وأندونيسيا ، والاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة ٠٠ وهناك بعض الدول التى يتراوح عدد سكانها ما بين ٢٠ ـ ١٠٠ مليون مثل المانيا الغربية ـ ايطاليا

- فرنسا - بريطانيا - مصر ، واذا أردنا أن نبين توزيع سكان العالم ، فان امريكا الشمالية ، يسكن فيها حوالى ٦٪ من سكان العالم ، وأمريكا اللاتينية ٨٪ . أنظر الجدول التالى : -

الجدول التالى يبين النسبة المئوية لتوزيع سكان العالم على مختلف القارات : -

القارة	النسبة المئوية
آسيا	٥٧٪
افريقيا	٩ر٧ ٪
امريكا الشمالية	٦ر١ ٪
امريكا اللاتينية	٨ ٪
أوروبا « بدون الاتحاد السوفيتى »	٢ر١٣٪
الاتحاد السوفيتى	٥ر٦ ٪
الأوقيانوسية	٥ر٠ ٪

ويعانى العالم النامى من الانفجار السكانى ، حيث يعيش أكثر من نصف سكان العالم فى آسيا ، بينما يعيش حوالى العشر فى افريقيا ، و ١٢٪ فى أوروبا ، و ٦٪ فى أمريكا الشمالية ، ويعيش حوالى نصف سكان العالم فى جنوب شرق آسيا على مساحة تقدر بحوالى عشر أرض العالم ، ويعيش حوالى ٥ر١٪من سكان العالم فى أوروبا ٠أى أن أكثر من ٧٠٪ من سكان العالم يعيشون فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ٠ وان عدد السكان الكبير لدولة معينة لا يضمن التأثير فى الشئون الدولية كما أن الدول الصغيرة تواجه وضعا أقل دوليا اذا قورنت بالدول الأكبر منها فى عدد السكان ، ويلاحظ أن تركيب السكان يخلق مطالب تواجه النظام السياسى ٠٠ ويتزايد دور عدد السكان اذا ارتبط بالكيف ، بالاضافة الى التقدم التكنولوجى ٠

يستنتج من الاحصائيات السابقة أنه رغم أن عدد السكان عامل مهم فى

السياسة الدولية ولا يمكن انكار اهميته ، الا ان هذا العامل تتزايد اهميته اذا اقترن بالتقدم التكنولوجي ووجود الكوادر الفنية ، وهنـــا تصبح الامكانية الديموجرافية عاملا أكثر تأثيرا في السياسة الدوليـــة ، فدولة مثل الولايات المتحدة يبلغ عدد سكانها أكثر من ٢٠٠ مليون ، ودولة مثل الاتحاد السوفيتي عدد سكانها ٢٢٥ مليون ، والصـــين أكثر من ٨٠٠ مليون ، الا ان الولايات المتحدة بمعايير عناصر القوة في العلاقات الدوليـــة أكثر تأثيرا من الصـــين الشعبية ، او من الاتحاد السوفيتي ، نظرا لوجود عناصر قوى أخرى ، تتفوق فيها الولايات المتحدة على الصين الشعبية ، او الاتحاد السوفيتي ، ولو كانت هذه العناصر متوفرة لدى الصين الشعبية والاتحاد السوفيتي ، وفي هـــذه الحالة الافتراضية ، فان الصين وروسيا يمكن لكل منهما أن يتفوق عـــلى الولايات المتحـــدة ٠

رابعـــا ـ الـــدين :

يعد الدين عاملا من العوامل التي تؤثر بشكل متميز في السياسة الدولية واذا كان العالم تسوده أديان مختلفة فلا شك أن هـــذه الاديان تؤثر عـــلى اتجاهات وسلوك معتنقيها في السياسة الدولية ٠٠ فاضطهاد المسلمين في عدد من الدول يفسر بعدد من العوامل بينها العامل الديني ٠

وقـــد ذهب بعض الكتاب الى أن الدين له صلة بالمـــواقف الاجتمـــاعية والسياسية ، حيث أن الدين يقـــدم خلفيـــة من **Background Values** للفـــرد والجماعة ، ويمكن أن ترجع جذور القيم الثقافيـــة والسياسية الى المعتقدات الدينيـــة ، حتى اذا كان أفراد المجتمع علمانيين ، بالطريقة التي يقدمونه بهـــا ٠

واذا كانت الاسرة تعد عاملا في التنشئة ، فان المسجد ، أو الكنيسة ، او المعبد ، يعدون من المؤسسات التي لها دور في التنشئة ، وبالتالي فان التنشئة السياسية تتأثر بدرجة كبيرة بالاديان السائدة ٠

وكثيرا ما توجد دراسات عن دور الدين فى العلاقات الدولية ، ولكنها تكون محدودة التوزيع restricted circulation وتناقش فى اطار محدود ، وبدرجات مختلفة من السرية ، كما أن بعض الدول فى سلوكها الدولى وفى سياستها المعلنة تركز على ما يسمى بالعلمانية ، أى فصل الدين عن السياسة ، واتخاذ مواقف من القضايا الدولية على أساس علمانى ، ولكن الواقع غالبا ما يكون غير ذلك ، فموقف الهند ، مثلا ، من قضايا أفغانستان والباكستان ، والاقلية الاسلامية الكبيرة فى الهند يفسر ضمن ما يفسر بالعامل الدينى والصراع بين الهندوكية والاسلام رغم السياسة المعلنة للهند عن علمانيتها ..

ومواقف الغرب من اسرائيل ، ومن قضايا الاقليات الاسلامية فى العالم يفسر ضمن ما يفسر بالعامل الدينى ، رغم عدم وجود هذا العامل فى السياسات المعلنة للغرب .

واذا استعرضنا خريطة الأديان فى العالم ، فاننا نجسد الأديان الوثنية العديدة فى افريقيا وآسيا ، ونذكر هنا على وجه الخصوص الهندوسية ، والجينية ، والبوذية . وهناك الديانة اليهودية التى تعد أول الديانات السماوية ، وهناك الديانة المسيحية التى تجسدت فى عدة طوائف أو مذاهب تختلف فيما بينها بدرجات ليست صغيرة ، وهى الكاثوليكية والارثوذكسية والبروتوستانتية .. كما تنتشر الديانة الاسلامية ، وهى آخر الديانات السماوية ..

واذا رجعنا الى السوابق التاريخية فاننا سنجد أن الصراع الدينى بين الاديان المختلفة ، بل وداخل بعض الاديان ، ولا سيما الديانة المسيحية ، كان من العوامل المؤثرة بشدة فى السياسة الدولية ، وفى هذا الصدد ، يمكن أن نذكر الحروب الصليبية ، حيث كانت المواجهة التى قامت بها المسيحية للتصدى للاسلام ، واذا رجعنا الى الحركة الاستعمارية التى سيطرت على

العالمين العربى والاسلامى ، فانها تضع فى أحد جوانبها بالعامل الدينى المتمثل فى مواجهة المسيحية الاوروبية للاسلام ٠

واذا استعرضنا التوسع السوفيتى الشيوعى فى آسيا الوسطى ، ومواجهته للاسلام بشدة ، نظرا لأن الايديولوجية الماركسية تعتبر الاسلام أخطر الأديان التى تواجهها ، فالاسلام دين ودنيا وعقيدة شاملة ، ولذلك فان الاسلام عانى الكثير من جراء الشيوعية السوفيتية فى آسيا الوسطى ٠٠ واذا رجعنا الى محاولات الدول الكبرى لاستخدام الوسائل الثقافية فى سياساتها الخارجية تجسد لنا الغزو الثقافى الذى تمارسه تلك الدول فى العالمين العربى والاسلامى ، وهذا فى حد ذاته يعكس مواجهة القيم والمعتقدات العربية والاسلامية ، والسعى للقضاء عليها بالاشكال غير المباشرة ٠

وقد انعكس العامل الدينى فى العلاقات الدولية على التنظيم الدولى بأشكاله المختلفة ، فاتحاد الكنائس العالمى ، والمنظمة الدولية للاعلام المسيحى والرابطة الكاثوليكية الدولية للاذاعة والتليفزيون ، ومنظمة المؤتمر الاسلامى ، والمؤتمر اليهودى العالمى ، والمنظمة الصهيونية العالمية ، كل هذا يعكس دور الدين وتأثيره فى السياسة الدولية ٠

كما أن الدول المختلفة الاديان فى العلاقات الدولية تحاول دائما أن تجد خصائص مشتركة بين دينها وبين دين الدولة الاخرى ، وذلك فى اطار السعى لتقوية العلاقات بينها وبين هذه الدولة ، واضعاف العلاقات مع الدول الاخرى ٠

واذا رجعنا ، مثلا ، الى البيانات الامريكية حول العلاقات الامريكية الاسلامية نجد أن الولايات المتحدة تعلن أنها مصممة على تدعيم روابط الصداقة والتعاون بينها وبين الدول الاسلامية ، وأن هناك قيما انسانية وأدبية متعددة يشترك فيها الامريكيون مع هذه الدول بما فى ذلك احترام الدين والقانون والشعور بأهمية الاسرة والضيافة ٠

واذا درسنا بيان الرئيس كارتر الصادر في ٧ فبراير ١٩٨٠ نجده يقول أن الولايات المتحدة ارتبطت في البداية بعلاقات وثيقة وقيمة مع العالم الاسلامي ، اذ كانت المغرب ، وهي دولة اسلامية ، أول من اعترف بالاستقلال الامريكي ، كما توجد في الولايات المتحدة جالية اسلامية نشيطة ، بالاضافة الى الدارسين المسلمين في الولايات المتحدة ، ومراكز الدراسات الاسلامية المنتشرة هناك ، والعلاقة القائمة بين الولايات المتحدة والاسلام ، هي علاقة صداقة ، فالولايات المتحدة يهمها توثيق العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع الدول الاسلامية ومع المسلمين في جميع أنحاء العالم ٠

كما يحاول الاتحاد السوفيتي في علاقاته الدولية أن يعلن أن الدستور السوفيتي يحترم الاديان ، وأن هناك ما يسمى بحرية الدين في الاتحاد السوفيتي ، ولكن الواقع يبين أن السياسة الفعلية لا تتمشى مع السياسة المعلنة في هذا الصدد ٠

كل هذا يوضح أن الدين من العوامل التي لها تأثيرها الذي يؤخذ بعين الاعتبار في السياسة الدولية ٠

خامسا - العامل الاقتصادي : -

يلاحظ أن الامكانية الاقتصادية تؤثر بدرجة كبيرة في السياسة الدولية ، فالقوة الاقتصادية هي أساس القوة التكنولوجية ، وأساس بناء الكوادر والاطارات في المقام الأول ٠٠ وفيما يتعلق بكثير من ظواهر العلاقات الدولية ، كانت القوة الاقتصادية مفسرا أساسيا لهذه الظواهر ، بالاضافة الى عوامل أخرى ، فالظاهرة الاستعمارية كانت في احدى صورها مظهرا من مظاهر التفوق الاقتصادي لقوى معينة على حساب قوى أخرى ، كما أن العلاقات الاقتصادية بين الدولة الاستعمارية والدولة المستعمرة كانت في احدى صورها من صور التبعية الاقتصادية في السلع المصنعة ، وغيرها من السلع الزراعية ، والمواد الاستخراجية ٠

وكانت العلاقات الاقتصادية الدولية ولا زالت مظهرا من مظاهر التخصص لصالح الدول الصناعية ، وبالذات الدول الاستعمارية ، نظرا لفارق السعر الضخم بين أسعار المواد الاولية من جانب ، والسلع المصنعة من جانب آخر ، ومن هنا توصل الاقتصاديون الى ما يسمى معدل التبادل الدولي ٠

Terms of Trade وهو ببساطة = ثمن الوحدة من الصادرات / ثمن الوحدة من الواردات

واذا طبقنا هذا النموذج على الدول التى كانت مستعمرة من جانب ، والدول الاستعمارية المتقدمة حاليا من جانب آخر ، لتبين لنا مدى تدهور معدل التبادل الدولى بالنسبة للدول المتخلفة أو النامية ، وتحسن معدل التبادل الدولى بالنسبة للدول المتقدمة ٠٠ وهذا يساعدنا على تفهم مطالبة الدول النامية بتحسين معدل التبادل الدولى الخاص بهذه الدول حتى يكون هناك نوع من التكافؤ فى العلاقات الدولية الاقتصادية ، ولكن شتان بين دعوة الدول النامية وبين فرض هذه الدعوة من خلال احداث التغيرات البنيانية فى اقتصادياتها للاتجاه نحو انتاج السلع نصف وشبه المصنعة والمصنعة ، فمن هنا يمكن لهذه الدول أن يتحسن معدل تبادلها الدولى ، لأن عالم اليوم ليس عالم الدعوات ولكنه عالم الواقع ٠٠ فكلما زادت الامكانية الاقتصادية ، كلما أضفى ذلك قوة على بعد الأمن للدولة المعنية ٠٠ فالحظر البترولى العربى عام ١٩٧٣ م ٠ أضفى قوة على السياسة العربية ، وأثر على أمن الدول التى عانت منه ٠٠

ظاهرة الشركات متعددة الجنسية : Multinational Enterprises

ونعنى بهذه الظاهرة أنه نتيجة لظاهرة التركيز ، وظاهرة الاحتكارات في العلاقات الاقتصادية الدولية ، بالاضافة الى ظاهرة التركيز والاحتكار فى النظم الاقتصادية الغربية ، الأمر الذى ساعد على ظهور الشركات المتعددة الجنسية ٠ وهناك بعض المصادر التى يقدر عددها بحوالى ٢٠٠ شركة متعددة الجنسية ،

حيث تسيطر هـــذه الشركات على الاسواق العالميـــة ، ولا سيما فى مجالات الكيماويات والادوية والحاسبات الالكترونية ، ومصادر الطاقة والسيارات ٠٠ وهذه الشركات المتعددة الجنسية تسيطر على الكثير منها الولايات المتحدة ٠٠ وفيما يتعلق بالامكانية الاقتصادية الامريكية فقد برزت الولايات المتحدة كقوة اقتصادية مؤثرة ، ولا سيما فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، كما استطاعت القـــوة الاقتصادية الامريكية أن تسيطر عـــلى مؤسسة التنمية الدوليـــة : International Development Association على مؤسسة التمويل الدولية والاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة ، وتسيطر حاليا عـــلى صندوق النقـد الدولى ، والبنك الدولى ، اذ كانت الولايات المتحدة هى الدولة الكبرى الوحيدة التى تخرج من الحرب دون خسائر مدمرة فى قاعدتها الصناعية ، اذ استحوذت على ٦٩٪ من اجمالى احتياطى الذهب الكلى على المستوى الدولى ٠٠ ولم يكن عليها ديون بالاضافة الى وزنها القوى فى التجارة الدولية ، ولذلك ساهمت الولايات المتحدة فى بناء الاقتصاد الاوروبى واليابانى بعد الحرب ٠

ظاهرة التبعية فى التجارة الدولية : Interdepend ence and Trade

ذكرنا مفهـــوم التبعية الاقتصادية وما يتصل به من تحكم اقتصـــاديات خارجية ، وهى الاقتصاديات المتبوعـــة فى اقتصاديات أخـــرى « اقتصاديات وطنية » ، وتتضمن هذه السيطرة أن التيارات الانتعاشية والتيارات الانكماشية المرتبطة بالاقتصاديات المسيطرة تنتقل تلقائيا الى الاقتصاديات التابعة ٠ وهذا فى حد ذاته من أخطر القيود على مفهوم السيادة الوطنية ، وقد ذكرنا بعض الامثلة الخاصة بالدول ذات المحصول الواحد One crop Economy الدول التى تتميز بسيطرة مادة استراتيجية كالبترول مثلا على اقتصادياتها ، وهى من أبرز الامثلة عـــلى الدول التابعة فى عالم اليوم للقوى الخارجيـــة ، رغم ما تتشدق به هذه الدول من عبارات كالاستقلال والسيادة ومحاربة الاستعمار وخلافه ٠٠ فالواقع أن هـــذه الدول تعانى شكلا قويـــا من أشكال السيطرة الخارجية ، وهو التحكم فى اقتصادها وخضوعه لما يسرى على اقتصاديات الدول

الخارجية ، ولا سيما ما يتعلق بالتيارات الانكماشية وتدهور قيمة العملة ، والمتقلب فى قيمتها الدولية ٠

التعاون النقدى والاقتصادى الدولى بين الدول الصناعية الغربية واليابان :

فى بعض الاوقات تنخفض قيمـــة الدولار ، وعندما يحدث هذا الانخفاض نجد أن بعض البنوك كاليابانية مثلا ، تطرح فى السوق الكثير من عملاتها ، وفى نفس الوقت فان هذه الدول تعطى الولايات المتحدة الكثير من احتياطياتها من الدولار ، حتى يستطيع الدولار الامريكى أن يقاوم انخفاض قيمته ٠٠ وهـذا التصرف النقدى يهدف أساسا الى حماية النظام النقدى الدولى والمحافظة على العلاقات الاقتصادية والنقدية بين هذه الدول ٠

اما العملة الصعبة ، فهى العملة التى يزيد طلبها عن عرضها ، وكلمـــا زاد الطلب عن العرض ، زادت قيمة هـــذه العملة ٠٠ ومن هنـــا اصبحت هناك عمـــلات دولية يطلق عليها عملة صعبة ، وهى على وجـــه الخصوص : الدولار الامريكى ـ المارك الالمانى ـ الفرنك الفرنسى ـ الاسترلينى الانجليزى ـ الين الياباني ٠٠

وتعتمد الدول الصناعية على استمرار الصادرات ، وذلك بزيادة الانتاج الكلى للمحافظة على درجة عالية من العمالة داخل هذه الدول ٠

ويبين الجدول التالى علاقة الصادرات بالانتاج فى هذه الدول

« مقدرا بنسبة مئوية »

الدولـــة	السنـــة		
	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٢
الولايات المتحدة	٩ر١ ٪	٦ر١١٪	٤ر١٤٪
اليـــــابان	٧ر٢٠٪	٣ر٣٠٪	٩ر٣١٪
المانيا الغربية	٣ر١٧٪	٧ر٣١٪	٨ر٤١٪
كنـــــدا	٥ر٤٢٪	٤٣٪	٣ر٧١٪

وهناك سوء فهم يتجه الى أن معظم التجارة تتكون من التبادل بين الدول الاقل تقدما والدول الصناعية ، ولكن حقيقة الأمر أن ٣/٤ التجارة الدولية للدول الصناعية تتم مع الدول الصناعية الاخرى ٠

وقبل ارتفاع أسعار البترول ، تشكل ثلثي التجارة الدولية من المواد المصنعة ، وشكل الطعام حوالى السبع ، والمواد الاولية أكثر من السدس بقليل وقد أثر ارتفاع أسعار البترول على هذا التشكيل ٠

أما تعويم العملة فيعنى أن تترك الدولة تحديد سعر عملتها يخضع لقانون العرض والطلب ، ولا يجرؤ على مثل هذا الا الدول القوية اقتصاديا ٠

ونجد فى هذه الارقام والنسب :

١ - التبعية الاقتصادية ٠

٢ - نجد أن العلاقة بين الصادرات والانتاج فى دولة مثل اليابان تحتل مكانة مميزة اذا قورنت بالدول الغربية الثلاث الاخرى ، ففى عام ١٩٥٠ احتلت المرتبة الثانية فى هذا الاطار المقارن بعد كندا ، وفى عام ١٩٦٠ احتلت مكانة متقاربة بدرجة كبيرة من المرتبة الثانية بعد المانيا الغربية مباشرة ٠ وفى عام ١٩٧٢ احتلت المرتبة الثالثة رغم أن اليابان كانت قد دمرتها الحرب تدميرا شديدا ، كما أنها تعانى فقرا فى مواردها الطبيعية ، وتعتمد أساسا فى انتاجها على القوى العاملة اليابانية ، وعلى التقدم التكنولوجى ، وفيما يتعلق بالعلاقة بين السياسة والاقتصاد فاليابان عند الكثيرين عملاق اقتصادى وقزم سياسى ، وظاهرة القزمية السياسية هذه تفسر بهزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية ، والشروط التى فرضت عليها حتى لا تطور تقدمها العسكرى بشكل ينافس القوى الكبرى الاخرى بالاضافة الى ربطها بمعاهدات واتفاقيات مع الغرب ، مما يعمق من ظاهرة القزمية السياسية هذه ٠

ولكن التطورات الاخيرة فى السياسة اليابانية تبين أن اليابان تحاول الآن

ان تعطى اهمية اكبر لمكانتها السياسية فى النظام الدولى ، رغم المقيود الكثيرة المفروضـــة عليها ·

وفيما يتعلق بالمانيا الغربية ، فرغم أن القوة الاقتصادية لألمانيـــا الغربية تؤثر بشكل مسيطر فى النظام الدولى ، الا أن هزيمة المانيا فى الحرب العالمية الثانية وتقسيمها الى شرقية وغربية بين الحلفاء ، كل ذلك وضع قيودا شديدة على دور العملاق الالمانى فى السياسة الدولية ، فلا يخفى أن الكثير من التقدم التكنولوجى السوفيتى اعتمد على العقلية الالمانية . كما ان الكثير من التقـــدم التكنولوجى الامريكى اعتمد على العقلية الالمانية أيضا ·· وهكذا نجـــد أن القيود التى فرضت على المانيا بتقسيمها الى شطرين شطر يرتبط بالمعسكر الشيوعى ، ويتبع الاتحاد السوفيتى ، والآخر يرتبط بالمعسكر الغربى ويصبح تابعا للقوى الغربية ، كل ذلك يعد بمثابة القيود الشديدة التى فرضت لعرقلة تطور الوضعية الألمانية فى النظام الدولى ·

نجـــد كذلك أن دور السوق الاوروبية المشتركة يزيد فى الناتج الاجمالى العالمى وهذا يعنى : -

١ - ان اقتصاديات هذه الدول تتقدم رغم عيوب نظامها الاقتصادى ·

٢ - الحركات التكاملية لها اهمية ، رغم العداوات الثقافية والتاريخية بين دول السوق الا انهم سعوا الى تكامل اقتصادى كان له هذه الاهمية ·

وفيمـــا يتعلق بمساهمة اليابان فى الناتج الاجمالى العالمى ، فقد زاد من ٨ر٢٪ عام ١٩٦٠ الى ٨ر٨٪ عام ١٩٧٣ ، وهذا يعنى أن القـــوة الاقتصادية اليابانية فى تزايد مضطرد ، وتؤثر فى النظام الدولى ، وبالتالى تؤثر بشكل او بآخر فى الاقتصاد الدولى ·

اما اوضاع الدول النامية ، فانها تساهم - تقريبـــا - بحوالى ١٠٪ من الناتج الاجمالى العالمى رغم أن بها حوالى ثلثى سكان العالم ، وان نصيب هذا

الكم الهائل من السكان يبلغ ١٧٪ من الصادرات العالمية ٠

ويبين هذا أهمية الاعتبارات الكيفية ، وفى نفس الوقت يبين مدى كفاءة النظم السياسية والاقتصادية فى النظم المختلفة ٠

فالعامل الاقتصادى بملحقاته وتوابعه أصبح عاملا مؤثرا فى النظام الدولى وهناك من يصدر الحكم على الزعامات بالمعايير الاقتصادية ، واستخدام المؤشرات الكمية فينظر مثلا : —

١ — الى معدل النمو الاقتصادى لبلده فى عهده ٠

٢ — مدى التغير فى هيكل الاقتصاد : هل زراعة ، أم صناعة — التطـــورات والتغيرات ٠٠٠ الخ ٠

٣ — توزيع الدخل القومى : هل الدخل يوزع بنسب تتمشى مع امكانيات هذه الفئات ، أم يتسبب فيها اجحاف ببعض الفئات ٠

وعند الحديث عن السياسة الخارجيـــة يتحدث الكتاب عن اقتصاديات السياسة الخارجية ، فمثلا : مساعدة دولة معينة لدولة ما فى حرب من حروبها فينظر الى هذا الموقف من حيث التكلفة الاقتصادية لهذه الحرب ، وهل تتمشى مع المنجزات التى ترتبت على هذه المساهمة أو على هذه الحروب ٠

ولعل هـــذه الامثلة تؤكد اهمية العامل الاقتصادى وضرورة أخـذه فى الحسبان عند تقييم السياسات ٠

● ● ●

والجدول التالى يبين تدفق المساعدات الاقتصادية الرسمية من اجل التنمية
مقاسة بنسبة مئوية من الناتج القومى الاجمالى

الدولة	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥
بلجيكا	٨٨ر٠	٦٠ر٠	٤٦ر٠	٥٠ر٠	٥٥ر٠	٥١ر٠	٥٦ر٠	٦٢ر٠
كنـــدا	١٩ر٠	١٩ر٠	٤٢ر٠	٤٢ر٠	٤٧ر٠	٤٣ر٠	٥١ر٠	٥١ر٠
الدانمرك	٠٩ر٠	١٣ر٠	٣٨ر٠	٤٣ر٠	٤٥ر٠	٤٧ر٠	٤٩ر٠	٥٠ر٠
فرنســا	١٣٨ر١	٧٦ر٠	٦٦ر٠	٦٦ر٠	٦٧ر٠	٥٨ر٠	٥٥ر٠	٥١ر٠
ألمانيـــا	٣١ر٠	٤٠ر٠	٣٢ر٠	٣٤ر٠	٣١ر٠	٣٢ر٠	٣٠ر٠	٢٨ر٠
ايطاليـــا	٢٢ر٠	١٠ر٠	١٦ر٠	١٨ر٠	٠٩ر٠	١٤ر٠	١١ر٠	٠٨ر٠
اليـــابان	٢٤ر٠	٢٧ر٠	٢٣ر٠	٢٣ر٠	٢١ر	٢٥ر٠	٢٤ر٠	٢٤ر٠
هولنـــدا	٣١ر٠	٢٦ر٠	٦١ر٠	٥٨ر٠	٦٧ر٠	٥٤ر٠	٦١ر٠	٦٥ر٠
نيوزيلنـدا	ـــــ	ـــــ	ـــــ	ـــــ	٢٣ر٠	٢٧ر٠	٣٦ر٠	٤٧ر٠
النرويـج	١١ر٠	١٦ر٠	٣٢ر٠	٣٣ر٠	٤١ر٠	٤٥ر٠	٦٣ر٠	٦٥ر
البرتغـال	٤٥ر١	٥٩ر٠	٦٧ر٠	٤٢ر١	٧٩ر١	٧١ر٠	٤٧ر٠	٤٢ر٠
السـويد	٠٥ر٠	١٩ر	٣٨ر٠	٤٤ر٠	٤٨ر٠	٥٦ر٠	٦٩ر٠	٧٠ر٠
ســويسرا	٠٤ر٠	٠٩ر٠	١٥ر٠	١١ر٠	٢١ر٠	١٥ر٠	١٥ر٠	١٥ر٠
المملكة المتحـدة	٥٦ر	٤٧ر٠	٣٧ر٠	٤١ر٠	٣٩ر٠	٣٥ر٠	٣٤ر٠	٣٢ر٠
الولايات المتحدة	٥٣ر٠	٤٩ر٠	٢١ر٠	٣٢ر٠	٢٩ر٠	٢٣ر٠	٢١ر٠	٢٠ر٠

ففى بلجيكا ، نجد أن معدل المساعدات يتجـــه الى الانخفاض ، وكذلك ألمانيا والولايات المتحدة · والمؤشر الذى تعطيه الارقام هنـــا هو أنه رغم أن مساعدات بعض الدول تزيد من الناحية الكمية ، الا أن نسبة هذه المساعدات الى الناتج القومي الاجمالى تتناقص . وهذا يعطى مؤشرا للعلاقات الاقتصادية الدولية ،.وهو أن الدول الغنية تعطى مساعداتها بحساب ·

وفيما يتعلق بالدول الشيوعية : بعـد عام ١٩٧١ م زادت التجـارة بين الشرق والغـــرب ، اذ عملت الولايات المتحدة على تحسين علاقاتها بالاتحاد السوفيتى والصين ، وارتفعت صادرات الولايات المتحدة الى الاتحاد السوفيتى من ١٦٢ مليون دولار عام ١٩٧١ الى ١ر٢ بليون دولار عام ١٩٧٣ ، وارتفعت الصادرات الامريكية للصين من ٦٠ مليون دولار فى ١٩٧٢ الى ٦٨٠ مليـــون دولار عام ١٩٧٣ · وواجهت التجارة بين الشرق والغرب عدة صعوبات ، حيث أن اقتصاديات الدول الشيوعية تتميز بالتخطيط المـــركزى ، أما اقتصاديات الدول الغربية فيطلق عليها اقتصاديات السوق المفتوحة ، ويلاحظ أن : القوة الدافعة الرئيسية فى المصلحة السوفيتية الجديدة فى التجارة مع الغرب تكمن فى الحاجة الى التكنولوجيا الغـربية ورءوس الاموال الغربية ، ويؤخـــذ فى الاعتبار أن الانتاج الزراعى واحدا من أضعف القطاعات الاقتصادية فى الدول الشيوعية ، ومن كل هذه الامثلة يتضح أن العامل الاقتصادى يعد عامل يعتد به فى السياسة الدولية ·

سادسا ـ العامل التكنولوجى : ـ

التكنولوجيا ـ ببساطة ـ هى التطبيق العملى للعلوم ·· وقد أصبحت التكنولوجيا واحدة من الامكانيات التى لها وزن كبير فى التأثير على السياسة الدولية ، ويحتوى التقدم التكنولوجى على جانبين رئيسيين هما :

١ ـ التقدم التكنولوجى المـــدنى ·

٢ ـ التقدم التكنولوجى العسكرى ·

ورغم التطور فى ثورة الاتصال بين الامم ، ورغم التبادل العلمى الواسع النطاق ، فان الدول لا تنشر سر التقدم المدنى او العسكرى بسهولة ، فيمكن للدول المتقدمة تكنولوجيا ان تصدر المتاد التكنولوجى للدول الاخرى ، ولكن من العسير ان تكشف عن اسرار العمليات الصناعية المتعلقة بالتقدم التكنولوجى ، وهكذا نجد ان احد التحديات التى تواجه الدول المتخلفة تتمثل فى الهوة التكنولوجية بينها وبين الدول المتقدمة تكنولوجيا ·

العلاقة بين التكنولوجيا والبيئة : -

يعد النموذج الصينى من الأدلة الواضحة على هذه القضية ، فقد تستخدم دولة معينة بعض الاجهزة التكنولوجية التى تتمشى مع الظروف البيئية ، واذا انتقلت هذه الاجهزة التكنولوجية الى دولة او دول اخرى ذات ظروف بيئية مختلفة ، فيصبح من الصعوبة بمكان ان يتم استعمال هذه الاجهزة واذا حدثت بعض الاخطار المتعلقة بالقرارات الخاصة باستيراد هذه الاجهزة فقد تلحق أضرارا ضخمة باقتصاديات الدول المستوردة ، لذلك فان الصين الشعبية تروج كثيرا لما يسمى بالعلاقة بين الاستفادة من التقدم التكنولوجى من جانب والظروف البيئية والمحلية من جانب آخر : Local Touck

الثقافة التكنولوجية : -

يذهب بعض الكتاب الغربيين الى القول بان الأخذ بالتقدم التكنولوجى يستلزم استيعاب الثقافات الغربية ، ولكن النموذج اليابانى والصينى الشعبى يبين انه ليس من اللازم ان يكون هناك علاقة بين التقدم التكنولوجى واستيعاب الثقافات الغربية ·

تقييد انتشار التكنولوجيا : -

وفيما يتعلق بذلك فان الدول التكنولوجية تصر على عدم نشر اسرار هذا

التقدم ، واكبر دليل على ذلك المجال العسكرى ، حتى أن هذا التقييد انتقل الى مجـــال العلاقات الدولية للسعى نحو ابرام المعاهدات ومنها على سبيل المثال معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ، فرغم أن احد مبررات هـــذه الاتفاقية هو تدعيم السلام العالمى ، والتخفيض من تكاليف الاسلحة ، الا أنه يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن هذه الاتفاقية فى أحد جوانبها تعنى أن السلاح النووى يصبح احتكارا لعـــدد معين من الدول ، وهذا يساهم فى تفســـير موقف السياسة الصينية التى رفضت التوقيع على اتفاقيـــة حظر الانتشار ، والسياســـة الاسرائيلية التى لم توقع على هـــذه المعاهـــدة ٠٠ واذا كانت مصر قد وقعت عـــلى هذه الاتفاقية ، فانها لم تصـــدق عليها ، آخـــذة فى الاعتبار الموقف الاسرائيلى ٠

المسافة وكيف اثرت على العلاقات الدولية : ـ

كانت البعثات الدبلوماسية تقوم بمهام أساسية فى الدبلوماسية الدولية حيث كانت المسافات الطويلة تقف عائقا أمام لقـاء رؤساء الدول والحكومات وجها لوجه ٠٠ ولكن مع التقدم التكنولوجى ، ضعف دور الدبلوماسية والبعثات الدبلوماسية ، واصبحت كثير من المهام يقوم بهـــا رؤساء الدول وجها لوجه وهـــذا ما يسمى بدبلوماسية القمة Top Diplomacy او الدبلوماسية الشخصية Personal Diplomacy بمعنى أن كثـــيرا من القضـــايا الدولية أصبح من السهل أن تقرر من قبل رؤساء الدول والحكومات وجها لوجه نتيجة التقدم التكنولوجى ٠

بنـــاء الأمـــة : Nation Building

التقدم التكنولوجى عملية أساسية من عمليات بناء الأمة ، واذا فرقنا بين بناء الأمة فى دولة كالنرويج ، وبناء الأمة فى اليمن ، لتبين لنا كيف أن العامل التكنولوجى وعوامل أخرى تساعدنا على تفسير هذه الظاهرة ٠

توقيت الانتقال التكنولوجى بين الدول :

Timing Tecknological Transfer

وهى عملية من العوامل الاساسية التى تساعدنا على تفسير عناصر القوة بين الدول ، فانتقال التكنولوجيا ، وتوقيت هذا الانتقال ، اذا صح التعبير ، فى دولة كالولايات المتحدة ، وفى دولة أخرى كالاتحاد السوفيتى ، يساعدنا على وضع تصنيف يوضح أولوية القوة بين العملاقين بمعايير السياسة الدولية ، وتوقيت انتقال التكنولوجيـــا الى اسرائيل من جانب ، والى دولة عـــربيه كسوريا ، يساعدنا على فهم عامل التوقيت ، وكيف يؤثر عـــلى معايير القوة بالنسبة للدول المتوسطة والكبرى ، أى أن التكنولوجيا تعد عاملا ديناميكيا فى السياسة الدولية ، وأضفت طابعا دوليا على الانشطة الانسانية ٠

وهكذا العامل التكنولوجى ، يعـــد عامـــلا يمارس نفـــوذا مسيطرا : L'influence déterminante حيث أن التقدم العلمى والتكنولوجى يؤثر على كل الاشكال السياسية والعسكرية والثقافية والاقتصادية فى لعبة العـــلاقات الدولية ، أى ان التقدم العلمى والتكنولوجى ساعد على تدعيم الاتصال الدولى فى كافة المجالات وقوى من سيطرة الانسان على البيئة ٠

سابعـــا ـ العامل الايديولوجى : ـ

هناك عدة تعريفات للأيديولوجية نذكر منها أنها تصور يبلغ درجة معينة من التكامل للعالم السياسى بمعنى أنها لم تتحقق بعد «فهى تصـــور» ، ومن المفروض أن يتم السعى لتحقيقها من قبل أنصارها ٠

الايديولوجية تتسم بالتكامل ، بمعنى أن الاطار الفكرى لها يبلغ درجة معينة من الشمول ، ويمكن أن نطلق عليـــه التكامل للعالم السياسى ، بمعنى أن الجوانب المختلفة للأيديولوجية يمكن أن تشكل عالما ، أو بعبارة أخرى ، اطارا عاما وشاملا به درجة من التناسق يمكن أن تصفه بالسياسى أو العالم السياسى

والظاهرة السياسية فى هذا الصدد ظاهرة كبيرة Micro تشمل الجوانب المختلفة غير السياسية وان كانت تتكيف بالجانب السياسى ، وتوجد عدة تقسيمات للايديولوجية ، فهناك الايديولوجية الشاملة نذكر منها فى هذا الصدد الرأسمالية والشيوعية ، وهناك الايديولوجية التوسعية نذكر منها الايديولوجية النازية والفاشية والصهيونية .. وهناك من يعتبر القومية شكلا من أشكال الايديولوجية ، وسنتعرض للقومية فيما بعد .. وقد ذهب بعض الكتاب الى اعتبار أن سياسة عدم الانحياز أيديولوجية عند كثير من الدول النامية .. وفيما يتعلق بالعلاقات الدولية ، فان الايديولوجية تساهم فى تحديد كيفية النظر الى العالم الخارجى .. فالايديولوجية الماركسية اللينينية تنظر نظرة معينة للعالم الخارجى ، بل ان موقفها من كثير من القضايا الاولية ، كثيرا ، ما يتكيف بهذه النظرة .. والايديولوجية الرأسمالية ايضا كثيرا ما تتاثر الدول التى تتبعها بهذه الايديولوجية عند النظر الى العالم الخارجى .. فالسياسة الخارجية الامريكية - على سبيل المثال - فى حالات كثيرة تتاثر بالايديولوجية الرأسمالية أو ما يسمى احيانا بالايديولوجية الليبرالية عند النظر الى العالم الخارجى .. فقيام حلف شمال الاطلسى NATO وتكوينه ودور الولايات المتحدة فى تدعيم هذا الحلف عند انشائه يفسر بعوامل كثيرة منها الدفاع عما يسمى بالعالم الحر فى مواجهة ما يسمى بالعالم الشيوعى أو العالم المستبد ، كما أن قيام الاتحاد السوفيتى بالسيطرة على حلف وارسو ، وضم دول أوروبا الشرقية لهذا الحلف يفسر بعوامل كثيرة منها الدفاع عن العقيدة الشيوعية واستمرار فرضها فى النظم او فى الدول الشيوعية ، بالاضافة الى مواجهة سياسات دول حلف الاطلنطى ، الخاصة بدول العالم الحر ..

وفى حالات كثيرة ، تعد الايديولوجية اطارا مظهريا للسياسة الدولية والعلاقات الدولية ، بمعنى انها تستغل فيما يسمى بالسياسة العالمية من خلال تبرير مواقف معينة أو سياسات فعلية معينة ، فالنزاع الصينى السوفيتى مثلا

يتخذ من الايديولوجية الماركسية اللينينية سببا ظاهرا لتبرير موقف كل من طرفى النزاع : فالزعامة الصينية الشعبية تتهم الزعامة السوفيتية بالتحريف وبالرجعية وإنتكار للمفاهيم الماركسية اللينينية ، وكذلك الزعامة السوفيتية تتهم الزعامة الصينية الشعبية الشيوعيـــة بالخيانة وبالخـــروج عن التعاليم « السامية لماركس وانجلز ولينين » ، ولهذا فان السياسة السوفيتية تعادى السياسة الصينية ، وهذا هو الاطار المظهرى للصراع بينهما .

أما الاطار الواقعى فيرجع الى أسباب أخرى منها قضايا الحدود ، فالصين الشعبية تتهم الاتحاد السوفيتى باستيلائه على مساحات كبيرة وشاسعة من الاراضى الصينية ، كما أن هناك نوعا من تعارض المصالح الوطنية بين كل من الصين الشعبية والاتحاد السوفيتى بالاضافة الى الاعتبارات العرقية ، فالجنس السائد فى الصين هو الاصفر ، أما فى الاتحاد السوفيتى فتنتمى شعوبه الى أجناس أخرى غير الاصفر ، ولا يخفى أن الاعتبارات العرقية كثيرا ما تؤثر على السياسة الدولية .

ثامنـــا ـ البحث عن الأمن : ـ

يعد موضوع الأمن من العوامل المؤثرة فى السياسة الدولية ، وقد وصف بعض الكتاب الأمن بأنه درجة معينة من الحماية للقيم التى تم تدعيمها سلفا :

Some degree of protection of values previous by acquired

ويرى آخـــرون أن الأمن هو تحـــرر الفـــرد أو الـــدولة من الخـــوف : Freedom from Fear ، ورغم بساطة هذا التعريف الا أنها لا تخلو من معانى لمفهوم الأمن . فأمن الدولة ـ وهذا ما يهمنا ـ من القضايا الخطيرة التى تهتم بها الدول حيث أن الامكانيات العسكرية والامكانيات السياسية والاقتصادية تعبأ فى سبيل المحافظة على أمن الدولة ، واذا كان هنـــاك ما يسمى بالأمن الخارجى والأمن الداخلى ، ووجود جهات عديدة متعلقة بالحفاظ على هـــذين الجانبين ، ورغم التداخل بين الأمن الداخلى والامن الخارجى ، الا أننا سنركز

أساسا على الأمن الخارجي ، وكيف يؤثر على العلاقات الدولية ، واذا كانت الزعامة أو الشعب في دولة معينة ، تعتقد أن دولا أخرى تعاديها ، فقد يترتب على ذلك شعور بعدم الامان ، وهكذا كان الوضع في الصين الشعبية ، عندما غيرت الزعامة الصينية مواقفها بسرعة ضد الولايات المتحدة وموقف كوبا من النظام الامريكى ٠٠ والأمن الداخلى هو العامل الاساسى فى المصالح الوطنية ٠٠

وترتبط القوى العسكرية وتطويرها فى اطار السعى لتحقيق الأمن وهذا يفسر لنا الصراعات الدولية ٠

ويبين الجدول التالى بعض الصراعات المختلفة التى نشبت منذ الحرب العالمية الثانية : -

جـدول يبين الصراعات المحلية الهامة
منذ الحـــرب العالمية الثانية

حروب تقليدية بين الدول	حروب غير تقليدية بين الدول	حروب داخلية مع تدخل خارجي	حروب داخلية في المقام الأول	حروب استعمارية
عدن ـ اليمن ٥٤ ـ ١٩٥٩	اندونيسيا ـ ماليزيا ١٩٦٣ ـ ١٩٦٥	المجـــر ١٩٥٦	الحروب الاهلية الصينية ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩	الجـــزائر ١٩٥٤ ـ ١٩٦٢
الجزائر ـ المغرب ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣		خليج الخنازير ١٩٦٠ ـ ١٩٦١	كولومبيـــا ١٩٤٦ ـ ٩١٥٣ ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠	انجـــولا ١٩٦١ ـ ١٩٧٥
العرب ـ اسرائيل ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣	فيتنـــام ١٩٤٩	بورما ـ الصين ١٩٥٠ ـ ١٩٥٤	كوستاريكا ١٩٤٨ الكونغـــو ١٩٦٠ ـ ١٩٦٤	قـــبرص ١٩٥٢ ـ ١٩٥٩
هندوراس ـ نيكارجوا ١٩٥٧	كردســـتان ١٩٧٤	الحروب الاهلية الدومينيـــة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٤	كـــوبا ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩	الكميرون الفرنسي ١٩٥٥ ـ ١٩٦٠
الهند ـ الصين ١٩٥٤ ـ ١٩٦٢		الكونغو كاتنجا ١٩٦١ ـ ١٩٦٤	الدومينيـــكان ١٩٦١ ـ ١٩٦٢	المغرب الفرنسي ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦

حروب تقليدية بين الدول	حروب غير تقليدية بين الدول	حروب داخلية مع تدخل خارجي	حروب داخلية في المقام الأول	حروب استعمارية
كشمير ١٩٤٧ - ١٩٤٩		قبرص ١٩٦٣	الهند ١٩٤٥ - ١٩٤٨	جواتيمالا ١٩٦١ - ١٩٦٢
كوريا ١٩٥٠ - ١٩٥٣		جمهورية الدومينيكان ١٩٦٥	العراق والاكراد ١٩٥٩ - ١٩٦٣	الهند الصينية ١٩٤٥ - ١٩٥٤
			لبنان ١٩٥٨	
الكويت - العراق ١٩٦١		اليونان ١٩٤٤ - ١٩٤٩	الجزائر ١٩٤٨ - ١٩٥٤	اندونيسيا ١٩٤٥ - ١٩٤٩
المغرب واسبانيا حول احتلال اسبانيا للريف المغربي ١٩٥٧ - ١٩٥٨		جواتيمالا ١٩٥٤	بوليفيا ١٩٥٢ - ١٩٦٢	كينيا ١٩٥٢ - ١٩٥٨
فلسطين ١٩٤٥ - ١٩٤٨		لاوس ١٩٥٩ - ١٩٦١	بيرو ١٩٦٥ - ١٩٦٦	مدغشقر ١٩٤٧

الصومال ـ أثيوبيا
كينيـــا
١٩٦٠ ـ ١٩٦٤
الاتحاد السوفيتي
وايـــران
١٩٤١ ـ ١٩٤٧
السـويس
١٩٥٦
الهند ـ باكستان
١٩٧١
سلفادور ـ هندوراس
١٩٧١

الملايو
١٩٤٨ ـ ١٩٦٠
نيجيريا
١٩٦٧
التبت
١٩٥٥ ـ ١٩٥٩

اليمن
١٩٦٢
تشيكوسلوفاكيا
١٩٦٨
تايلاند
١٩٦٠
كمبوديا
١٩٦٩

شيلي
١٩٧٣
أورجواي
١٩٦٩ ـ ١٩٧٣
اندونيسيا
١٩٦٦ ـ ١٩٦٧
نيجيريا
١٩٦٧ ـ ١٩٧٠
روديسيا
١٩٦٨
الارجنتين
١٩٧٢

مسقط ـ عمان
١٩٥٦ ـ ١٩٥٨
ايريان الغربية
١٩٦٢ ـ ١٩٦٣
موزمبيق
١٩٦٣ ـ ١٩٧٤
غينيا بيساو
١٩٦٣ ـ ١٩٧٤

وفى الجدول المذكور : تقسم الحروب الى حـــروب تقليدية بين الدول - وغير التقليدية ، وحروب داخليـــة مع تدخل خارجى ، وداخليـــة أساسا ، وحروب استعمارية ، ويمكن ابداء ملاحظـــة أنه اعتبر الحـــرب الجزائرية المغربيـــة حربا تقليدية ١٩٦٢ - ١٩٦٣ ، والحـروب بين العرب واسرائيل تقليدية .. وفى نيجيريا اعتبر الحـــرب داخلية مع تدخل خارجى .. وهكذا والتقسيم هنا متداخل .

قيود على استخدام الوسيلة العسكرية : -

هناك عدة قيود على استخدام الوسيلة العسكرية وهى : -

١ - الرعب الذرى : Nuclear Terror

والخاص بما يسمى بميزان الرعب ، وأصبح بعد ذلك ميزانا للرعب النووى ممـــا أدى الى عودة الاهمية للأسلحة التقليدية ، والحـــروب المحدودة ، وبالتالى وفقا لهذا المفهوم فان الحـــروب السائدة الآن هى حـــروب تقليدية ، وحروب محدودة ، ومن هنـــا عادت الاهميـة الى الاسلحة التقليدية .

٢ - قوانين الحرب : Rules of War

الحـــرب فى القانون الدولى التقليدى كانت مشروعـــة ولم تكن محرمة ، وبعد تطور القانون الدولى ، وادراك النظم والشعوب لبشاعـة الحروب ، بدأت الدعوة لتحريم الحـــروب .. ومن هنا كان التطور فى القانون الدولى الذى اتجه نحو تحريم الحروب ، وعدم اللجوء اليها الا فى حالات معينة .

وقد تحدث كتاب جروسيوس Grotius : the Law of War and Peace عام ١٦٢٥ م عن الحروب وشرعيتها .

وكان ميثاق منظمة الأمم المتحدة انعكاسا لهذه المحاولات وتتويجـا لها ، ولذلك حرم ميثاق الأمم المتحدة الحروب ، وان كان قد اباحها فى

بعض الحالات التى من أهمها ما نصت عليه المادة ٥١ من الميثاق بحق الدفاع الشرعى الفردى والجماعى وفقا للضرورة ، أى انه يحق للدولة أن ترد على الاعتداء ، وهنا يكون الرد شرعيا سواء كان هذا الرد من قبل الدولة بمفردها أو من قبل مجموع الدول التى تشترك مع الدولة فى بعض المواثيق ، مثل مواثيق الدفاع المشترك ، أو مواثيق الضمان الجماعى ·· وبهذا الشكل فان الدولة تمارس حق الدفاع عن النفس ، واذا كان هذا ما يذهب اليه القانون الدولى فالواقع يقول شيئا آخر ، فالسوابق التاريخية للحروب تقول أن الدولة التى تبدأ بالحرب تدلى فى بياناتها وتصريحاتها أنها ليست البادئة بالحرب ، وأنها كانت مهددة ولذلك فهى تمارس الحرب وفقا لأحكام ميثاق الأمم المتحدة والمادة ٥١ من الميثاق ·· والمثال على ذلك اسرائيل سنة ١٩٦٧ ـ وحيث أنه لا توجد سلطة ما فوق الدول Supra National تستطيع أن تعطى سلطة الزامية لقرارات الأمم المتحدة فستظل القوة الخاصة بقانون الأمم المتحدة هى قوة معنوية فى المقام الاول ·

٣ ـ الرأى العام : Public Opinion

وله عدة تقسيمات : « دولى ـ رسمى ـ غير رسمى ـ قطاعى ··· الخ · » وتعد القوة الخاصة بالرأى العام الدولى من القيود على استعمال الوسيلة العسكرية فى العلاقات الدولية سواء كان هذا الرأى العام الدولى رسميا ـ أى حكوميا فى المقام الاول ـ أو قطاعيا « مثل الاتحادات المهنية » ، فكل هذه الاشكال من الرأى العام تضع قيودا على لجوء الدول الى الحروب لكن الواقع يبين أن الرأى العام كثيرا ما يمكن خداعه ، ومن هنا يأتى دور وسائل الاعلام · ويمكن لدولة معينة أن تلجأ الى الحرب ، وتبرر ذلك من خلال قوتها الاعلامية ، أى تقنع الرأى العام الدولى باشكاله المختلفة أنها كانت ضحية للعدوان ، وبالتالى يقف الى جانبها ، ومن هنا يفقد هذا العامل بعض أهميته فى حالات معينة ·

٤ - تكاليف الحروب : Costs of War

كثيرا ما يكون الجانب الاقتصادى الخاص بتكاليف الحروب من العوامل التى تضع حدودا على استعمال الوسيلة العسكرية ، على سبيل المثال : بلغت موازنة الدفاع الامريكية عام ١٩٧٥ أكثر من ٩٢ بليون دولار ، أى حوالى ٦٪ من الناتج القومى الاجمالى الامريكى ، وهذا يبين انه اذا امكن توجيه جزء كبير من هذه الموازنة الى اقتصاديات السلام ، وليس الى اقتصاديات الحرب ، فان هذا يمكن أن يساعد فى تدعيم السلام الدولى ، ويمكن أن يضع حدودا على استخدام الوسيلة العسكرية ، كما أن مسعى مصر نحو السلام يفسر بعوامل كثيرة منها تحديات التنمية فى مصر ، واهمية وجود ما يسمى بالدفعة القوية التى يمكن أن تخلص الاقتصاد المصرى مما يسمى بالحلقات المفرغة للفقر .

تاسعا - ظاهرة القومية : -

وهى من العوامل الهامة التى تؤثر فى السياسة الدولية ، وجدير بالذكر انه فى اللغات الانجليزية والاوروبية كلمه Nationalism تعنى وطنية وقومية فى نفس الوقت ، أما فى اللغة العربية فهناك كلمتان : الوطنية والقومية .. والوطنية تشير الى الانتماءات الخاصة بدولة معينة ، أما القومية فتشير الى شعور يجمع مجموعة من الافراد بالانتماء المشترك ، وكثيرا ما يظهر هذا الشعور فى شكله الواضح ابان الازمات ، وهذا الولاء للقومية يطلق عليه الولاء الاخير Terminal Loyalty ، بمعنى أن هؤلاء الافراد لهم ولاءات متعددة كالولاء للعشيرة وللدولة ، واخيرا للقومية .. واذا طبقنا هذا على القومية العربية ، فسنجد أنها شعور مشترك بين مجموعة من الافراد تجمعهم عدة سمات منها : اللغة المشتركة - التراث المشترك - التحديات المشتركة - التاريخ المشترك .. الخ . ولذلك فان الولاء الاخير للعرب هو اساسا الولاء

للقومية العربية ، وقد يكون هذا الولاء غير واضح لبعض الافراد ، الا أنه يظهر لديهم بعدة أشكال ، ولا سيما في أوقات الازمات ، حيث يظهر ما يسمى بالولاء الاخير للقومية العربية ٠٠ مثلما حدث في حـــروب ٥٦ - ٦٧ - ١٩٧٣ م . وحروب التحرير في الدول العربية ، حيث تجسد مفهوم القومية العربية ٠٠ كما أن هذا المفهوم يتجسد في خارج البلاد العربيـــة ، فوجود بعض الافراد العرب في دولة أجنبية ينتمون الى جنسيات مختلفة ، نجد ان عامل القومية الذي يجمعهم أكثر وضوحا ٠٠

في بعض الحالات ، تكون هناك مبالغة في القومية ، وتصبح القومية نوعا من الخطر الذي يهدد النظام الدولي والعلاقات الدولية ، مثال ذلك : التطرف في القومية ، مثلما حدث في المانيا في عهد هتلر ، من التطرف في القوميـــة الالمانية الى حد التعصب ، الأمر الذي كان له كثير من التأثيرات السيئة على العلاقات الدولية ، وهناك بعض الكتاب الذين يعتبرون الدين عاملا من العوامل التي تشكل القومية ، ورغم اعتراف الكثير من الكتاب باهمية العامل الديني ، ودوره في التأثير عـــلى السلوك ، الا أن النظـريات الحديثة في القوميـــة لا تعتبر الدين عاملا مكونا لها ، وان كان هذا العامل كثـــيرا ما يضفي أثرا بشكل غير مباشر من خلال اللغة التي انتشر بها ٠٠ فالدين الاسلامي أضفى تأثيرا على اللغة العربية وعلى التراث العربي ، وهذا التأثير استوعبه المسلم والمسيحي بشكل أو بآخر ، وبوعي وبغير وعي ، وحتى لو كان غير مسلم ، اذ أنهم يتكلمون اللغة العربية ، كما تأثروا بقضايا الحضارة الاسلامية ســـواء بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر ٠٠

ويركز كثير من الكتاب على دور القومية في السياسة الدولية ، وهناك عدة عناصر تساهم في تشكيل القومية ، مثل ما يدعيه البعض بوحدة العنصر Race ، وقد أكد علم الاجناس أنه لا يوجد عنصر نقي ، وان هنـــاك اختـــلاط بين الاجناس ، لذلك لا تعـــد وحدة العنصر من العـــوامل التي

تشكل القوميـــة ٠

وتعد العوامل الجغرافية مساعدة فى تشكيل القومية ، فجبال البرانس ساعدت على تشكيل القومية الاسبانية ، وساعدت جبـــال الالب فى تشكيل الوحدة الايطالية ، الا أن هذا العامل ليس ضروريا فى كل الاحوال ٠٠ وتعد اللغة من العوامل الاساسية فى تشكيل القومية ، فاللغة أداة ذات مغزى فى الاتصـــال ، بالاضافة الى كونهـــا أداة حفظ التراث ، فالازدواجيه اللغوية فى كنـــدا أدت الى تقوية النزعة الانفصالية فى أقليم كويبك ، لارتباطـــه باللغـــة الفرنسية ٠٠

كما يعد التاريخ المشترك من العوامل الهامة فى تشكيل القومية ، ومن أمثلة ذلك التاريخ العربى المشترك ٠

● ● ●

مراجع مختارة

* Padelford, Lincoln, Olivey, *The Dynamics of International Politics*, New York, Macmillan, 1976.

* De Rivera, Joseph H., The *Psychological Dimension of Foreign Policy*, Columbus, Ohio : Charles E. Merrill, Publising Co. 1968.

* Rockeach, Milton, *The Nature of Human Values*, New York: The Free Press, 1973.

* Pounds, Norman J.G. *Political Geography*, New York : McGraw Hill Book Company, 1972.

* Berelson. Bernard, ed., *Population Policy in Developed Countries*, New York : McGraw Hill, 1974.

* Balassa, Bela, ed., *Changing Patterns in Foreign Trade and Payments*, New York : W.W. Norton and Company Inc.,1970.

* Lewis, W. Athur, *The Development Process*, New York, U.N. Center for Economic and Social Information, 1970.

* Knorr, Klaus, *Power and Wealth*, New York : Basic Books Inc., 1973.

* Possony, Stefan J. & J.E. Pournelle *The Strategy of Technology*, Cambridge, Mass : Dunellen Press, 1970.

* Knorr, Klaus, *On the Uses of Military Power in the Nuclear Age* Princeton, 1966.

* Doctor, Adi H., *International Relations, An Introductory Study*, New Delhi : Vikas Publications, 1969.

* Dyke, Vernon Van, *International Politics*, Bombay : Vakils Feer and Simons Private Ltd., 1966.

* Wright, Quincy, *The Study of International Relations*, Bombay :The Times of India Press, 1970.

القوة الوطنية فى العلاقات الدولية

القـــوة الوطنية : National Power

ليست القوة الوطنية قاصرة على القوة العسكرية أو العنف . كمـــا قد يتبادر الى الذهن ، ولكنها تحتوى على عناصر أخرى عديدة ، فالقوة القومية تحتوى على العامل الجغرافى والامكانية الاقتصادية والسكان ، والامكانيـــة العسكرية ، بالاضافة الى كفاءة الاجهزة السياسية والدبلوماسية والدعائية ٠ واذا كانت هذه العوامل تعد من العوامل المؤثرة فى السياسة الدولية ، الا أنها فى نفس الوقت عناصر من عناصر القوة الوطنية أو القومية ٠٠ ونذكر بادىء ذى بدء أن استخدام القوة الوطنية لا يرتبط بالمعايير الاخلاقية ، رغم أن الدول كثيرا ما تلجأ الى تبرير استخدام القوة وتدعى أنها تلتزم بالمعايير الاخلاقية . وفيما يتعلق بالقوة الوطنية للدولة ، فان هذا المفهوم لا يعنى فقط قدرة الدولة فى التأثير على الآخرين ، ولكن يرتبط أيضا بطريقة تقـــدير الدولة لقوتها . وطريقة تقدير الدول الاخرى لهذه القوة ، اذ أن تجارب الدول المتخلفة تبـين أنهـــا تسيىء فهم قوتها ٠

مقـــومات القـــوة الوطنيـــة : ـ

١ ـ العامل الجغرافى : ـ

اذا كان العامل الجغرافى ، كما سبق وذكرنا ، من العوامل المؤثرة فى السياسة الدولية ، فهو فى نفس الوقت يعد عنصرا من عناصر القوة الوطنية أو القومية ، وفيما يتعلق بهذا العنصر فان هنـــاك عدة مسائل تؤخذ بعين الاعتبار منها : حجم الدولة ـ الاتساع الجغـرافى للدولة ـ

الطبيعة الطبوغرافية - الموقع الجغرافى بوجه عام ، واذا كان التقدم التكنولوجى والتطور فى صناعة الاسلحة قد قلل نسبيا من أهمية الموقع الجغرافى والحدود الطبيعية الا أن هذا لا يعنى القضاء نهائيا على أهمية الموقع الجغرافى والحدود الطبيعية ٠

ومن امثلة أهمية العامل الجغرافى كعنصر من عناصر القوة الوطنية ، ما يتعلق بأراضى الاتحاد السوفيتى التى كانت مسرحا من مسارح الحرب العالمية الثانية ، فعندما تقدمت قوات النازى الى الاراضى الروسية كان من أسباب هزيمتها ، وانتصار الجيش الاحمر ، طبيعه الموقع الجغرافى للأراضى الروسية ، واتساع الرقعة الجغرافية ، والاعتبارات المناخية ، فقد استطاع الجيش الاحمر أن يستدرج القوات النازية حتى تشتد البرودة ، ومن ثم بدأت القوات الخاصة بالجيش الاحمر تلتحم مع القوات النازية ، حيث استخدمت الاسلحة البيضاء ، وكان هذا عاملا من العوامل التى أدت الى انتصار الجيش الاحمر على القوات النازية ٠٠ وهذا يوضح أهمية العامل الجغرافى واتساع الرقعة الجغرافية والاعتبارات المناخية ٠

٢ - الامكانية الاقتصادية : -

تعد الامكانيات الاقتصادية عنصرا من عناصر القوة الوطنية ، فمدى الزيادة أو الوفرة النسبية فى الموارد الطبيعية ، ومدى الوفرة أو الندرة النسبية فى الكوادر الفنية ، والتقدم التكنولوجى ، كل مثل هذه العوامل الخاصة بالتقدم أو التخلف الاقتصادى ، تعد عنصرا من عناصر القوة الوطنية ٠٠ وفيما يتعلق بالسوابق التاريخية استطاعت بعض الدول ، من خلال الحركة الاستعمارية ، أن تعوض النقص فى مواردها الطبيعية كما استطاعت من خلال شركاتها أن تحصل على عقود امتياز فى الدول الغنية بالموارد الطبيعية بالاضافة الى قدرتها الكبيرة على

شراء المواد الخام ، وهذا يبين أن الامكانية الاقتصادية يزداد وزنها كعنصر من عناصر القوة الوطنية أو القومية اذا اقترنت بالتقدم الاقتصادى وما يرتبط به من خصائص بنيانيـــة اقتصادية وتقدم تكنولوجي وكـوادر فنية ، وهذا يساعدنا على تفهم الفروق بين الدول النامية الغنية بالموارد الطبيعيـــة والفقيرة فى موارد أخـــرى كالدول البترولية ، هـــذا من جانب ، ومن جانب آخر ، الدول المتقدمة والفقيرة فى الموارد الطبيعية كاليابان مثـــلا ٠

٣ ـ الســـــكان : ـ

كما ذكرنا سابقا ، فيمـــا يتعلق بالعامل الديموجرافى ، فانه من الاهمية بمكان أن يؤخذ فى الاعتبار عند التعرض للعامل السكانى نوعان من الاعتبارات ، الكمية والكيفية ، وهذه هى الصـــورة المثالية للعامل السكانى ، أى يرتبط التزايد فى عدد السكان بالخصائص الكيفيـــه للسكان ٠٠ وعلى الصعيد الدولى ، فهناك عدد من الدول ، وهى بالذات الدول المتقدمة تعانى من نقص فى تزايد عدد السكان ، وهناك دول نامية تعانى مما يسمى بالانفجار السكانى ، وفيما يتعلق بالدول المتقـــدمة ، فهناك عدة عوامل ترتبط بالتناقص فى عدد السكان ، منها التطور فى النظام الحضارى لهذه الدول ، وما يرتبط به من قيم ومعتقدات ، بحيث أن نظم الزواج التى تعرفها المجتمعات الاخرى ، أصبحت لا تعرفها هذه المجتمعات ، حتى أن النظرة الى المولود أصبحت نظرة مادية بحتـــة فى الدول التى تعانى من نقص فى تزايد السكان ٠٠ فالرجل أو المرأة يقارن بين انجاب طفل جـــديد ، أو شراء سيارة ، أو الانتقال من مسكن الى آخر ، أى ان النظرة أصبحت قاصرة للغاية ٠٠ كما أن النظم المرتبطـة بتطرف هذه الحضارات ، أدى الى أن الزواج أصبح الاستثناء ، وعدمه هو القاعدة ، وهذا يساعدنا على تفسير سمى النظم السياسية فى هذه

الدول كفرنسا مثلا الى تشجيع تزايد المواليد ، نظرا لان هذا التناقص في عدد السكان يهدد مقومات هذه الدول ٠٠ وعلى الجانب الآخر نجد التزايد الرهيب في عدد السكان في الدول المتخلفة ، وكثيرا ما يكون الكم على حساب الكيف ، وتكون المحصلة النهائية تتمثل في عدم الاستفادة من العامل الديموجرافي ، نظرا لأنه عامل عددي ، وليس عاملا نوعيا ، وفيما يتعلق بالسوابق التاريخية اعتمدت الدول الاستعمارية على أبناء المستعمرات في الحصول على القوة البشرية التي تستخدمها في بعض المجالات المدنيـــة والحربية ٠٠ ففي الحرب العالمية الثـــانية استفادت الامبراطورية الفرنسية من أبناء مستعمراتها خلال هذه الحروب ، سواء الافريقية او العربية أو الآسيوية ، كما استفادت الامبراطورية البريطانية من هذه القـوة البشرية للمستعمرات البريطانية ، وذلك في المجهـــود الحربي البريطاني ، وفي عالم اليوم ، نجد أن دولة كبلجيكا أو فرنســا تعتمد على القوى العاملة القادمة من دول الجزائر والمغـــرب وتونس ، وذلك في ممارسة الاعمال الوضيعة التي لا يقبل الفرنسيون عليهـــا ، وبالتالي يساهمون في تدعيم الاقتصاد الفرنسي ٠

٤ ـ الامكانية العسكرية : ـ

ترتبط الامكانية العسكرية بالتقدم التكنولوجي في صناعة الاسلحة وخصائص الكوادر العسكرية ، وبالتالي فان الدولة التي تعتمد عـــلى الخارج في استيراد المعدات العسكرية تعاني ضعفا نسبيا في قوتهـــا الوطنية ، اذا قورنت بالدولة التي تصنع بنفسها المعدات العسكرية ، وهـــذا يساعدنا في بعض الجوانب عـــلى تفسير العـــلاقات المصرية السوفيتية ، والسورية السوفيتية ، حيث أن النظام السوفيتي يستخدم العتاد العسكري وعناصر أخرى خاصة بقوته الوطنيـــة في ممارساته

السياسية وضغوطه الدبلوماسية مع دولة كمصر أو سوريا ٠٠ وهناك نقطة أخرى تتعلق بالامكانية العسكرية وهي : قدرة الدولة على صناعة الاسلحة التقليدية والنووية ، فكما سبق وذكرنا : أن القوى الكبرى Super Powers تمتاز ضمن ما تمتاز به بامكانيات امتلاك السلاح النووى ، وعلى هذا الاساس تتشكل عناصر القوة الوطنية ٠٠ ولا يخفى أن الامكانية العسكرية عامل له وزن كبير فى الحكم على القوة الوطنية للدولة ، لا سيما اذا كانت هذه الدولة تواجه التزامات وطنية كبرى ، أو تواجه قضايا أقليمية ملحة ٠

٥ - كفاءة الأجهزة السياسية والدبلوماسية والدعائية : -

وهذا فى حد ذاته يثير عددا من القضايا سبق أن تعرضت لها علوم أخرى ، منها قضيه النظام السياسى وماهية هذا النظام ، وما اذا كان هذا النظام ديمقراطيا ، أو شموليا ، أو تسلطيا ، وهذه المعايير لا تؤخذ كما تقول به الدساتير أو المواثيق أو الزعماء السياسيين ، ولكنها تستند على معايير موضوعية ، فالنظام النازى كان يصف نفسه بأنه ديمقراطى ، وكذلك النظام الفاشى ، وكذلك نظام نكروما فى غانا ، والنظام السوفيتى ، ولكن الواقع يدل على عكس ذلك ٠٠ وفيما يتعلق بالنظام السياسى تثار عدة قضايا منها مدى وجود نظام حزبى ، أو نظام الحزب الواحد ، ومدى وجود جماعات ضغط وجماعات مصالح ، ودرجة المشاركة السياسية وطرق صناعة القرار ، وهل هو قرار أوتوقراطى أم ديمقراطى ٠٠ وفيما يتعلق بكفاءة الاجهزة السياسية والدبلوماسية والدعائية فى القوة الوطنية ، فاننا نركز على مدى قدرة هذه الاجهزة على ترجمة امكانيات الدولة ، وتعبئتها لتصبح عنصرا فعالا من عناصر القوة الوطنية أو عدم قدرتها على تحقيق هذه التعبئة ، ومجمل القول أن هذا العامل يرتبط بمدى التحديث السياسى والمشاركة

السياسية والاستقرار السياسى ، كذلك تعد الروح المعنوية Morale من مكونات القوة الوطنية ٠

قضية تقـــدير القوة الوطنيـــة للدولة

وهى قضية متعددة الجوانب وليس من السهل حسابها أو تقديرها ، اذ تفيد القوة القومية فى تحقيق أهداف السياسات الوطنية ، وعلى الرغم من أن قوة الدولة مسألة نسبية ، الا أنه يؤخـــذ فى الاعتبار الوزن النسبى للدول الاخرى ، علاوة على أن عناصر القوة ليست ثابتة ، وهى عرضة للتغيير ٠

أساليب استخدام القوة الوطنية او القومية : ـ

اولا ـ أسلوب الاقناع : Persuasion

بمعنى أن الدولة المؤثرة تمارس او تستعمل قوتها القوميـــة من خلال العمل على استمالة الدول الاخرى تجاه القضية التى تهم الدولة المؤثرة ، وهذا الاسلوب شائع فى العلاقات الدولية ، وأقرب مثل على ذلك السياسة الامريكية تجاه التطورات الاخيرة فى الصراع العـــربى الاسرائيلى ، وسياسة الدول الغربية تجاه النظم العنصرية فى أفريقيا الجنوبية ، حيث ترى الدول الغربية أن أسلوب فرض العقوبات عـــلى النظم العنصرية ، أسلوب غير فعال وأن أسلوب الاقناع يعد من أفضل الاساليب للتعامل مع النظم العنصرية ٠

ثانيا ـ أسلوب تقديم الاغراءات : Rewards

يتمثل هذا الاسلوب فى تقديم المساعدات الاقتصادية أو العسكرية أو التنازلات الاقليمية ، وفيما يتعلق بالمساعدات الاقتصادية ، فنجد أن دولة مثل الولايات المتحدة والمانيا الغربية تلجأ لاسلوب تقديم المساعدات الاقتصادية كوسيلة من وسائل تحقيق اهدافها وسياستها الخارجية ،

رغم الانتقادات التى توجه الى هذا الاسلوب ، والقائلة أن هذه المساعدات تمثل نسبة ضئيلة من الناتج القومى الاجمالى لهذه الدولة أو غيرها ، كما أن أسلوب تقديم المساعدات العسكرية من الاساليب الشائعة فى العلاقات الدولية ، ولا يخفى الارتباط بين الجوانب العسكرية الخاصه بالمساعدة والجوانب السياسية الخاصة بسياسات الدول المؤثرة التى تتبع هذا الاسلوب وكيف أنها تقدم المساعدات العسكرية وفقا لما يسمى بالشروط المعلنة سواء كانت هذه الشروط صريحة أو ضمنية ، ومن أبرز الامثلة على أسلوب المساعدات العسكرية الاسلوب السوفيتى فى تقديم المساعدات العسكرية تجاه دولة كمصر أو سوريا ، وكيف أن هـــذا الاسلوب كان من العوامل المـــؤثرة بدرجة كبيرة فى تدهور العـــلاقات المصرية السوفيتية ، وكيف أن هذا الاسلوب من العوامل التى تشكل مشكلة فى العلاقات السورية السوفيتية ٠

أما أسلوب التنازلات الاقليمية ، فقد شاع خلال الحرب العالميـــة الثانية سواء بزيادة الاراضى أو نقصانها ٠٠ وفيمـــا يتعلق بالصراع العربى الاسرائيلى فان قضية التنازلات الاقليمية من القضايا التى تثار فيما يتعلق بتسوية الصراع ٠

وبالاضافة الى ما سبق ، هناك الاغراءات السياسية ونذكر منها : أسلوب الحكم الذاتى الذى اتبعته بعض الدول الاستعمارية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية كمقدمة للاستقلال السياسى ، أو أسلوب موافقة الدول الاستعمارية على تقديم أو منح الاستقلال السياسى للمستعمرات وهو لا يعدو أن يكون استقلالا اسميا ، حيث أن التبعية الكاملة كانت ولا زالت منتشرة بين معظم الدول التى حصلت على استقلالها السياسى ويدخل فى أسلوب تقديم الاغراءات أيضا تأييد الموقف السياسى لدولة معينة ، وهذا الاسلوب شائع فى العلاقات الدولية ٠

وعلى سبيل المثال : فالغزو الفيتنامى الشيوعى لكمبوديا ادى خلال عام ١٩٧٩ الى وجود موقفين مختلفين :

- **الموقف الأول** : الموقف السوفيتى ، الذى يؤيد الغزو الفيتنامى الشيوعى ·
- **الموقف الثانى** : الموقف الصينى الشعبى ، الذى يعارض الغزو الفيتنامى الشيوعى ·

وبالطبع فان تأييد الاتحاد السوفيتى للغزو الفيتنامى الشيوعى لكمبوديا ، يفسر بعدة عوامل منها المصلحة الوطنية السوفيتية ، والصراع الدولى على المستوى العالمى ، والصراع القائم فى آسيا ، والصراع الاقليمى فى الشرق الاقصى ·

اما معارضة الصين الشعبية للغزو الفيتنامى الشيوعى لكمبوديا ، فترجع الى عدة عوامل منها : الصراع الذى اشتد أخيرا بين الصين الشعبية والاتحاد السوفيتى ، والتطور فى العلاقات الصينية الامريكية وقيام العلاقات الدبلوماسية بينهما ، الأمر الذى أدى الى رد فعل سوفيتى يعبر بشكل غير مباشر عن الصدمة من التطور فى العلاقات الصينية الامريكية ، بالاضافة الى التطور الجديد فى العلاقات اليابانية الصينية ، وعلى هذا الاساس يمكن القول أنه قد تكون مثلث قوى جديد فى آسيا وبالتحديد فى الجزء الشرقى من آسيا ، رأس هذا المثلث هى الولايات المتحدة الامريكية وقاعدته الصين الشعبية واليابان · وهذا يساهم فى تفسير الموقف السوفيتى الخاص بالاصطدام مع هذا المثلث من وراء قاعدتيه ، وذلك بتأييد النظام الشيوعى الفيتنامى فى غزوه لاراضى كمبوديا ، مع الأخذ فى الاعتبار التطورات السائدة فى ايران . وما يرتبط بذلك من دور قائم وممكن للاتحاد السوفيتى بمحاولة تحويل الاوضاع فى ايران لصالح الاتحاد السوفيتى ·

ثالثا - اسلوب فرض العقوبات : Punishment :

ويدخل فى اطار هـــذا الاسلوب المقاطعة الاقتصادية ، أو الحصار البحرى ، وفرض قيود على الهجرة ، أو قيود على التجارة الدولية ·· من أمثلة هذه الاساليب المقاطعة الاقتصادية التى فرضتها الدول العربية على اسرائيل ، على أساس ان المقاطعة عمل من أعمال الدول التى فى حالة حرب مع دولة أخرى ، وبالتالى فالحرب الاقتصادية تدخل فى اطار الحروب التى تمارسها الدول العربية ضد اسرائيل ·

ومن أمثلة القيود على الهجرة : ما لجأ اليه الاتحـاد السوفيتى فى بعض الاحيان من فرض قيود على هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل ، وتخفيف هذه القيود فى فترات أخرى ·

أما القيود على التجارة الخارجية : ما لجأت اليه الولايات المتحدة بفرض قيـــود شديدة على تصـــدير ما سمى بالسلع الاستراتيجية ، وذلك بمنع تصديرها الى الاتحاد السوفيتى ، والصين الشعبية ، حتى أوائل السبعينيات ··

رابعا - اسلوب التهديد باستخدام القوة : -

سواء أكان هذا التهديد ظاهرا أو مقنعا ·· ومن خلال عدة طـــرق كالانذار أو الطرق الدبلوماسية ، ومن أمثلة أسلوب التهديد باستخدام القـــوة ما لجأت اليه الادارة الامريكية فى عهـــد الرئيس « أيزنهاور » بالسعى لانسحاب القوات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية ابان حرب السويس عام ١٩٥٦ ، وما لجأ اليه النظام السوفيتى من خلال الانذار المعروف الذى وجهه الى بريطانيا وفرنسا واسرائيل فى ٥ نوفمبر عام ١٩٥٦ بالانسحاب من الاراضي التي تم الاستيلاء عليها خلال حـــرب السويس سنة ١٩٥٦ ، ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن الانذار السوفيتى

قد جاء في وقت متاخر نسبيا . وبعـــد ان تاكد للنظام السوفيتي ان الولايات المتحدة تعارض القوات المعتدية خلال ازمة السويس . كما ان مقارنة الانذار السوفيتي ببيان الحكومة السوفيتية في ٢١ أكتوبر عام ١٩٥٦ يؤكد لنا هذا القول ، فبيان الحكومة السوفيتية السابق عـــلى الانذار بعدة أيام كان غير واضح وصيغ بلهجة معتدلة .

أما الانذار السوفيتي الشديد اللهجة ، فقد جاء بعـــد أن عارض الرئيس الامريكي بشدة الغزو الثلاثي خلال حرب السويس .. على أن هذا لا يقلل من أن النظام السوفيتي خلال حرب ١٩٥٦ ، وعلى راســـه « خروشوف ، بولجانين » كان نظاما مختلفا عن النظام السوفيتي في عهد « بريجينيف ، كوسيجين » .

خامسا ـ اسلوب إستخدام القوة المسلحة : Armed forces :

وذلك للحصول على مزايا اقليمية أو اسقاط نظام معـــين ، ومن امثلة هذا الاسلوب ما لجات اليه اسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، أو ما لجأ اليه الاتحاد السوفيتي بغزو تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ . فهذا يدل على أن هذا الاسلوب من الاساليب التي كثيرا ما تستخدم في العلاقات الدولية ، وهو الاسلوب السافر ، أو الاشد عنفـا من أساليب استخدام القـــوة القوميـــة .

القيود التي ترد على ممارسة القوة القومية : ـ

اولا ـ الاخلاقيات الدولية : International Mortlit :

تعد من المعايير التي ترشد السلوك الدولي ، ورغم الاختلاف النسبي في مفاهيم الاخلاق ، الا انه قد أصبح هناك شبه اتفاق عالمي على مجموعة من المعايير الاخلاقية ، نذكر منها : عدم اللجوء الى الحرب ، أو استخدام القوة في العـــلاقات الدولية ، واحترام حقـــوق الانسان وحـــرياته

الاساسية ، وحق الدول فى تقرير مصيرها ، واذا كانت هـذه المفاهيم شبه مقبولة دوليا ، الا أن الدول عند استخدامها للقوة القوميـة كثيرا ما تهمل هذه المفاهيم من الناحية الفعلية ، وان كان من الممكن لهـذه الدول أن تدافع عن هذه المفاهيم من الناحية الاسمية ، وعلى كل حال ، فان الاخلاقيات الدولية يمكن اعتبارها قيـدا يجعل الدول تتردد فى استخدام القوة القومية أو الوطنية ، ولا سيما الاساليب التى لا ترتبط بالعنف أو القوة ٠

ثانيا ـ الراى العام الدولى : ـ

الراى العام ببساطة هو خلاصة الراى السائد بين مجمـوعة من البشر تجاه قضية معينة فى وقت معين ومثار اهتمام معين ، وليس من اللازم أن يكون الراى العام رأي الاغلبية ، فقد أثبتت معظم الدراسات التى أجريت أنه فى حالات كثيرة يكون الراى العام رأى فرد أو عـدد قليل من الافراد ، وبعملية التفاعل بين راى الفرد أو المجموعة القليلة ، من جانب ، والجماعة من جانب آخر ، تاتى ظاهرة الراى العام ، وهذا قد يعطى بعض التبريرات لما ذهب اليه Allport من أن الراى العام هو حاصل ضرب الآراء بعضها فى بعض وليس حاصل جمعها ٠٠ بمعنى أن الراى العام لا يحسب بالجمع ، ولكن يحسب بعملية التفاعل ، وهو فى البداية راى فرد معين أو عدد قليل من الافراد ٠

وهناك عدة تقسيمات للراى العام بينها تقسيمان : ـ

١ ـ الراى العام الدولى والراى العام الداخلى ٠
٢ ـ الراى العام الرسمى والراى العام غير الرسمى ٠

أما الراى العلم الدولى ، فهو الراى العام الذى يتعـدى الحواجز

الدولية ويتكون من مجموعات تنتمي الى وحدات سياسية مختلفة ، وهذا الرأى العام الدولى قد يكون رأيا عاما رسميا ، مثل المواقف الرسمية لمجموعة من الدول التى أدانت غزو الاراضى فى حرب السويس ، هذه الادانة تشكل رأيا عاما رسميا ، وهناك الرأى العام الدولى غير الرسمى نذكر منه الرأى العام الدولى للاتحادات النقابية الدولية ، أو اتحاد البرلمانيين الدولى ، أو الاتحادات الدولية المختلفة للصحفيين أو المحامين فهذا الرأى العام الدولى يتعدى الحواجز الدولية أو الحدود السياسية وان كان غير رسمى لأنه لا يعبر عن وجهات نظر رسمية ٠

والرأى العام الدولى كثيرا ما يكون قيدا على استخدام القوة القومية : فالرأى العام الرسمى أو غير الرسمى الذى أدان السياسة الامريكية فى فيتنام ، كان من العوامل المساعدة فى انسحاب القوات الامريكية من فيتنام ٠٠ والرأى العام الرسمى الذى أدان غزو ايطاليا للحبشة ، كان بمثابة القيد على ممارسة ايطاليا لقواتها القومية أو الوطنية فى الحبشة ، وذلك لأن عصبة الأمم فى ذلك الوقت أدانت الغزو الايطالى على الحبشة ٠

ثالثا ـ القانون الدولى :ـ

يعد القانون الدولى من القيود التى تمارس على استخدام القوة القومية ، ونظرا لأن القانون الدولى كان فى البداية قانونا غربيا ، فأيد فى البداية الحروب ومنها الحروب الاستعمارية ، وسواء أكانت هذه الحروب عادلة أو غير عادلة ٠٠ وبعد ذلك بدأ القانون الدولى يميز بين ما سمى بالحرب العادلة والحرب غير العادلة ، وأباح ما سمى بالعادلة . ولم يبح غير العادلة ٠٠ الا أن الدول فى لجوئها للحرب تلجأ الى هذا الاسلوب أو غيره سواء أكان عادلا أم غير عادل ، وتصف حربها بأنها عادلة ، وكثيرا ما تكون فى الواقع غير عادلة ٠٠ بعد ذلك بدأت الدول

تبرم المواثيق التى تحرم الحرب ، فقد دعا مؤتمر « لاهاى » سنة ١٨٩٩ الى امتناع الدول عن استخدام العنف المسلح وتحبيذ الحلول السلمية ، اما عصبة الأمم فقد أقر عهدها عدم مشروعية الحرب العدوانيـــة ، وانه يمكن لمجلس عصبة الأمم أن يفرض العقوبات وبالذات الاقتصادية على من يلجأ الى استخدام القوة بشكل غير مشروع ·· وواضح أن الدولة التى ستلجأ الى الحروب غير المشروعة ستذهب الى القول بانها حرب عادلة ومشروعة ، ثم كان ميثاق « بريان كلوج » سنة ١٩٢٨ ، الذى ندد بالحرب وعدم مشروعيتها ·

وقد حرم ميثاق الأمم المتحدة اللجوء الى القوة المسلحة فى العلاقات الدولية ، وان كان قد أباح فى المادة (٥١) من الميثاق الحرب التى تدخل فى اطار الدفاع عن النفس أو الدفاع الشرعى الفردى أو الجماعى « وفقا للترتيبات الاقليمية » نذكر منها الترتيبات الدفاعية التى تقيمها منظمة مثل منظمـــة حلف شمال الاطلنطى ، أو حلف وارســـو ، أو جامعـة الدول العربيـــة ··

وفى الخاتمة نقول : ان فريقا من الكتاب وبالذات دارسي السياسة ينكرون القيمة العملية للقانون الدولى ، حيث انه ما زال اطارا شكليا ولا توجد مؤسسات تجبر الدول على تنفيذ أحكامه ، وامكانية استخدامه وتفسيره بما يتمشى مع مقتضى الحال ·

رابعا ـ مبدأ السيادة القومية :

هو أحد القيود المفروضة على استخدام القوة القومية ، فمن الناحية القانونيـــة تتساوى الدول فى السيادة ســـواء كانت الدول عظمى أو صغرى ، فالجميع متساوون فى السيادة أمام القانون الدولى ، وهذا ما تم تأكيده فى ميثاق الأمم المتحدة ولكن الواقع يقول شيئا آخر :

فالسيادة في حاجة الى عدة عناصر تقوى من وضعيتها الفعليـــة ، وتجعل الدولة ذات درجة معينة من السيادة بالفعل لا بالقول ، ومن هذه المقومات - بطبيعة الحال - المقومات الاقتصادية ، والمقومات التكنولوجية والمقومات الديموجرافية ، والمقومات العسكرية ، وخصائص النظـــام السياسي القائم ، كل هذه العناصر الاساسية ومدى التفاعل بينها يساعد الدولة أو لا يساعدها على أن تحتفظ بسيادتها بشكل فعلي .

فالدولة التي تعـــاني من القحط أو الجفاف ، وتستجدي النجـدة الدولية ، والدولة التي تعاني من تدهور أوضاعها الاقتصادية ، وتعتمد على التمويل الخارجي بشكل أساسي والتي تعاني من النقص الشديد في الكوادر الفنية وتعتمد على الخارج في تكملته ، وتعـــاني من التخلف التكنولوجي ، وتعتمد على الخارج في استيراد المعدات التكنولوجية هي دولة ذات سيادة من الناحية القانونية ، ودولة غير قادرة على الاحتفاظ بسيادتها من الناحية الفعلية .

ويمكن أن نجمل قولنا في هـــذه النقطة بان هنـــاك مساواة في السيادة بين الدول من الناحية القانونية .. اما من الناحية العملية ، فكلما قل وزن الدولة ، كلما قل دورها في المحافظة عـلى سيادتها من الناحيـــة الفعلية ، فالدول الكبرى أكثر قدرة من الدول الصغرى على المحافظه على سيادتها .

● ● ●

مراجـــع مختـــارة

* Morganthau, Hans J., *Politics among Nations : The Struggle for Power and peace*, Calcatta: Scientific Book Agency, 1969.

* Deutsch ,Karl, W., *The Analysis of International Relations*, New Jersey : Prentice-Hall, Inc., 2nd. ed., 1978.

* Tunkin, Grigary, ed., *Contemporary International Relations*, Moscow: Progress publishers, 1969.

* Boyd Andrew, An Atlas of World Affairs, New York, Proeger Publishers, 1970 .

* Colard, Daniel, *Les Relations Internationales*, Paris: Masson, 1977.

● هانسر و٠ بالدوين : « **استراتيجية انقـــد : الاستراتيجية الامريكية فى السبعينيات والثمانينيات وحتى سنة ٢٠٠٠** » ، ترجمة د٠ محمود خـــيرى بنونة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٢ م ٠

● د٠ اسماعيل صبرى مقلد : « **العلاقات السياسية الدوليـــة ، دراسة فى الأصول والنظريات** » ، مطبعة جامعة الكويت ، كلية التجارة والاقتصـــاد والعلوم السياسية ، ١٩٧٢ م ٠

توازن القوى فى العلاقات الدولية

كان توازن القوى من القضايا الهامة التى تميزت بها العلاقات الدولية خلال القرن الـ ١٩ ، وكان توازن القوى متحركا ، بمعنى أنه من السهل أن يتحول الحليف الى عدو ، والعدو الى حليف ، تبعا لخصائص المصالح التى كانت سائدة ، حيث لم تكن هناك استمرارية فى التحالف ، نظرا لعدم الاستمرارية فى مفهوم المصلحة فى ذلك الوقت ، وما لبث أن تحرك توازن القوى الحركى هذا الى توازن قوى ثابت نسبيا ، بمعنى أن المجموعات المتصارعة أو الدول المتصارعة بدأ يتكون لديها مفهوم ثابت نسبيا للمصالح ، وبالتالى تميزت المحالفات بدرجة استمرار نسبيا فى اطار التوازن وبشكل يختلف عما كان سائدا من قبل ٠٠ وبهذا الشكل فان توازن القوى يعنى وجود دولتين أو أكثر فى وضع صراعى أو فى اطار التصارع ، ويتشكل الصراع بالامكانية المتوافرة لدى طرفى الصراع أو أكثر من طرفين ٠٠ ويتحقق التوازن عندما تكون معادلة القوى بين طرفى الصراع « أ ، ب مثلا أو أطراف أ ، ب ، جـ » قريبة من التعادل ٠٠ ووفقا لما هو واضح فى مناهج البحث فى العلاقات الدولية فان مفهوم التوازن ما يلبث أن يتحول الى عدم توازن ، نظرا للتغير فى عناصر القوة لدى أطراف الصراع ، ومن هنا تستمر ظاهرة العلاقات الدولية فى منظور التوازن وعدم التوازن ٠٠ وهكذا فان مفهوم توازن القوى من المفاهيم الصعبة القياس ويتم تفسيره من خلال طرق متعددة من قبل الدارسين وممارسى العلاقات الدولية ٠

ويثير هذا المفهوم عدة قضايا تتعلق بالتوازن الناتج عن التوزيع المتساوى للقوى بين الدول ، والتوازن الناتج عن التوزيع غير المتساوى للقوى بين

الدول ، والتوازن الناتج عن سيطرة دولة على غيرها ، وهـــذا يثير قضـــايا الاستقرار النسبى والسلام ٠

ويقتضى وجود توازن القوى : -

- وجود وحدات سياسية عديدة ذات سيادة ٠
- غياب سلطة مركزية شرعية قوية فوق هذه الوحدات ٠
- عدم وجود توزيع متساوى بشكل نسبى لامكانيات هـــذه الوحدات التى تشكل النظام الدولى ، وهذا يؤدى الى اختلاف وضع الدول ، فهناك الدول الكبيرة والدول المتوسطة والدول الصغيرة ٠
- المنافسة والصراع المستمر بين الوحدات ذات السيادة ٠
- وعي حكام الدول الكبرى بمغـــزى توزيع القوى فى العالم والفائدة التى تعود عليهم من ذلك ٠

ويعتبر البعض أن الفترة ما بين ١٦٤٨ « سلام وستفاليا » ، عام ١٧٨٩ م « الثورة الفرنسية » تعد أول عصر ذهبى لتوازن القوى التقليدى ، حيث خفت حدة الصراع الدينى ، وسادت حرية التجارة ، وبدأت تتدعم سيادة الشعوب بعد أن تهاوت نظم الملكيات المطلقة ٠

وقد أثارت الثورة الفرنسية مفاهيم جـــديدة تتعلق بالحرية والمســاواة والاخاء ، وارتبط ذلك بمفاهيم الوطنية والسيادة الشعبية ، كما أن الحملات العسكرية التوسعية لنابليون بونابرت عملت على خلق نظام جديد ، وبالطبع فان ذلك لم يتمش مع القواعد الاساسية لتوازن القوى التقليدى ٠

وتمثل رد فعل الدول الاوروبية لنابليون فى الاتحاد لهزيمته واســتعادة مبادىء الشرعية للنظام الدولى السابق ، وبعـــد هزيمة نابليون النهائية فى

ووترلو ، اجتمعت القـــوى العظمى فى مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ للعمل عـــلى إستعادة نظام توازن القوى الاوروبى .

وتحت زعامة الأمير مترنيخ Metternich النمساوى ، والاسكندر قيصر روسيا ، بدأ عهد جديد لتوازن القوى ، استمر حتى بداية الحرب العالميـــة الاولى . وبالتالى فان فترة القرن التاسع عشر ، ١٨١٥ - ١٩١٤ ، يمكن أن تعتبر العصر الذهبى الثانى لتوازن القوى التقليدى ، اذ سمح لفرنسا فى عهد اسرة البوربون أن تبقى فى اطار القوى العظمى بالاضافة الى انجلترا وبروسيا النمسا - المجر وروسيا ، وعادت السياسة الدولية الى الاستقرار والتجانس الايديولوجى فيما يتعلق بالعـــلاقة بين الحكام والمحكومين ، وعـــدم تدخل الدولة فى الشئون الاجتماعيـــة والاقتصادية والدينية والتعليمية للنشـــاط الوطنى ، اى تنفيذ مبدأ « دعه يعمل » Laissez-faire ودعت الدول الاوروبية الى عمل مشترك ضد التمرد والعصيان ، مما قد يهدد بقاء النظم الملكية الاوروبية وبضعف القوى السياسية القائمة .

ويرى البعض أن القرن العشرين أدخل تغيرات ثورية فى توازن القوى ، وذلك بقيام الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، والحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ، وقيام الحرب الباردة ، بالاضافة الى وجـــود الفاشية فى ايطاليا والنازية فى المانيا والشيوعية فى الاتحاد السوفيتى والصين .

الاساليب الشائعة فى توازن القوى فى العلاقات الدولية : -

من البديهى أن توازن القوى يحتوى ضمن ما يحتوى عـــلى صدم توازن القوى ، واهم اساليبه : -

اولا - اسلوب فرق تسد : Divide and Rule

وهـــذا الأسلوب شائع فى العلاقات الدولية بالابقاء عـــلى الدول المتنافسة فى حالة من التفكك والانقسام ، ومن الامثلة على ذلك سعى

السياسة الفرنسية الى سياسة « فرق تسد » تجاه الدويلات الالمانية ، وما ترتب على ذلك فى تسويات الحرب العالمية الثانية بتقسيم المانيا الى ألمانيتين « شرقية - غربية » ، وايضا السياسة الاستعمارية تجـــاه المستعمرات ، حيث عملت على ايجاد نوع من التقسيم الاصطناعى فى المناطق المستعمرة ، كما كان الحال فى القارة الافريقية ، وهذا يحتوى ضمن ما يحتوى على نفس الاسلوب « فرق تسد » ٠

ثانيا - اسلوب سياسة التعويضات الاقليمية : Compensation :

كانت وما زالت أساليب سياسة التعويضات الاقليمية من أساليب سياسة توازن القوى فى العلاقات الدولية ، وعلى سبيل المثال : قسمت بولندا ثلاث مرات خلال القرن الـ ١٨ ، بين بروسيا وروسيا والنمسا كنوع من أنواع التسوية الخاصـــة بالتعويضات الاقليمية ، كمـا أن الصراع الهندى الباكستانى حول الحدود أو حول أقليم كشمير يحتوى ضمن ما يحتوى على نوع من التسوية الاقليمية وهى بدورها تعنى نوعا من أنواع التعويضات الاقليمية ٠

ثالثا - اسلوب سياسة التسليح : Armament :

وهى عكس سياسة نزع السلاح ، وتعنى أن هناك نوعا من التسابق فى التسليح بين طرفين أو أكثر ، ومن الامثلة على ذلك التنافس الشديد بين التجربة الانجليزية والتجربة الالمانية قبل الحرب العالمية الاولى ، أو التنافس الشديد بين القوة البرية الفرنسية والقوة البرية الالمانية قبل الحرب العالمية الاولى ، وكذلك التنافس بين اسرائيل من جانب والدول العربية من جانب آخر ، لا سيما الدول المجاورة لاسرائيل على المستوى الفردى والجماعى ، كذلك التنافس فى التسلح بين الهند وباكستان فى أعقاب قيام الدولتين وتقسيم شبه القارة الهندية الى هند وباكستان ٠

رابعا - اسلوب التحالفات : Alliances :

التحالفات ببساطة تعنى أن دولتين أو أكثر تتكتل فى اطار ثنائى أو جماعى نحـــو السعى لتحقيق المفهوم الامنى أو ما يسمى أحيانا بالأمن الجماعى أو الأمن الفردى للدولة وللدول أعضاء هذه التحالفات ، وتدخل سياسة التحالفات فى اطار سياسات توازن القوى ، فالسياسة الامريكية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية كانت حريصة على محاصرة الخطـــر الشيوعي والسياسة السوفيتية ، بأن اتبعت ما سمى بسياسة الاحتواء Containnent ، التى كانت تعنى ضمن ما تعنى اقامة أحلاف تحيط بالاتحاد السوفيتى وحلفائه ، لمقاومة التيسرب الشيوعى ، فأقيم - على سبيل المثال - حلف شمال الاطلسى ، ثم أقيمت معاهدات دفاعيـــة ثنائية بين الولايات المتحدة وعدد من الدول المجاورة للاتحاد السوفيتى أو حلفائه مثل تركيا وايران ، بل والعراق ، ومجموعة الدول الموجودة فى جنوب وشرق آسيا مثل الفلبين ، وتايوان « الصـــين الشعبية » ، واليابان ، وتايلاند ، وحلف السياتو SEATO ، كمـــا اقيم حلف بغداد ، وبعد أن انسحبت العراق من هذا الحلف سمى حلف السنتو : Cents أو الحلف المركزى ، وهذه التحالفات والمعاهدات الثنائية هى نوع من السعى نحو تحقيق التوازن فى العلاقات الدولية .

خامسا - سياسة المناطق العازلة : Buffer Zones

وهى تعنى ببساطة ايجاد كيان ضعيف نسبيا بين كيانين أو أكثر أقوى نسبيا ، وعلى سبيل المثال : اعتبرت أفغانستان نوعا من المناطق العازلة بين الهند وبين روسيا ، كما اعتبرت بلجيكا منطقـة عازلة بين فرنســا والمانيا ، واعتبرت دول أوروبا الشرقيـــة قبل خضوعها للنظم الشيوعية ، نوعا من المناطق العازلة بين المانيا وبين روســيا من جانب آخر ، وذلك طبقا لمعاهدة فرساى فى أعقاب الحرب العالميـــة الاولى ،

بل ان اسرائيل يمكن أن تعتبر نوعا من المنطقة العازلة بين الدول العربية بعضها البعض ٠

سادسا - سياسة التدخل : Intervention

بمعنى التدخل فى شكل عسكرى مثل تدخل الاتحاد السوفيتى فى المجر عام ١٩٥٦ ، وتدخله فى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، والتدخل الامريكى فى لبنان عام ١٩٥٨ ، فهذا التدخل قد يعنى فى بعض مدلولاته المحافظة على سياسة التوازن مثل التدخل السوفيتي في المجر ، أو تشيكوسلوفاكيا ، وذلك بالسعى لاعادة الهيمنة السوفيتية على كلتا الدولتين ، كما أن التدخل الامبريالى الامريكى عام ١٩٥٨ كان يعنى السعى لفرض الوضع القائم فى لبنان ، على أساس السياسة الطائفية ومقاومة النظم التى اعتبرتها السياسة الامريكية مناوئة لها ، بعد ان انتصرت السياسة الناصرية وتدعمت فى هذا الوقت ٠

توازن القوى فى اعقاب الحرب العالمية الثانية

ذكرنا أن النظام الدولى تميز بعد الحرب العالمية الثانية بما يسمى بميزان الرعب النووى أو الذرى ، وقد ميزنا بين الميزانين وتوصلنا الى مفهوم ميزان الرعب النووى ، وتوصلنا الى نظرية الحروب المحدودة ، واللجوء مرة ثانية الى استخدام الاسلحة التقليدية ، والحروب الوقائية ٠٠ وفيما يتعلق بتوازن القوى فى العلاقات الدولية ، فان هذا التوازن « الرعب الذرى » يعنى فى بعض تطبيقاته بما يسمى بسياسة الردع ، والردع ببساطة هو أن تخشى الدولة عواقب فعل فلا تقدم عليه ٠٠ واذا طبقنا لفهوم الردع هذا على العلاقات الدولية فيما بعد الحرب العالمية الثانية فان خشية القوى الكبرى من عواقب استخدام الاسلحة النووية جعلتها لا تقدم على استعمالها ، ومن هنا أتى مفهوم امكانية الضربة الثانية Second Strike Capability بمعنى أن الدولة التى تبدأ بالهجوم النووى ، تعلم أن

الطرف الآخر لديه امكانيات قوى أخرى مدمرة، يستطيع أن يدمر قواها فى الضربة الثانية ، ومن هنا أتى القول ان امكانية الضربة الثانية قضت على مفهوم امكانية الضربة الاولى : First Strike Capability

وبالتالى ، لم يعد من المتصور أن تنشب حرب نووية الا عن طريق الخطأ ..

انماط توازن القوى

هناك عدة أنماط لتوازن القوى أثارها مورتون كابلان M.rton A. Kaplan وهى : -

● **نمط توازن القوى التقليدى :**

The Classical Balance of Power Model

يظهر هذا النمط واضحا فى الفترة من ١٨١٥ - ١٩١٤م ، ويعمل نمط توازن القوى التقليدى بشكل أفضل عندما يشتمل النظام الدولى على خمس قوى رئيسية على الأقل ، مع عدم وجود منظمات أقليمية أو دولية ، والمحالفات فى هذا النظام لا تدوم طويلا ، وتتغير للاعتبارات العملية أكثر من الاعتبارات الايديولوجية .. والحروب بين القوى الكبرى حروب محدودة ، ولا يسمح للحروب التى تنشب بين القوى الصغرى بالتصاعد ، وتسوى بطريقة معينة ، بما يتمشى مع مصالح القوى الكبرى ..

● **نمط القطبين غير المحكمين :** The Loose Bipolar Model :

وأحيانا يسمى هذا النمط بنمط الحرب الباردة ، ويظهر هذا واضحا فى الفترة من ١٩٤٧ - ١٩٧١ ، ويعمل هذا النظام عندما توجد قوتان عظمتان فقط وتعمل كل قوة بمثابة حلف ، كما تحمى وتسيطر على عدد من الدول الاضعف منها فى اطار الكتلة التى تنتمى اليها .. ويبدو دور

السلاح النووى واضحا فى هذا النمط ، ويستمر هذا النمط فترة طويلة نسبيا ، نظرا لأن المصالح التى يقوم عليها دائمة نسبيا ، وان كانت تصاغ فى عبارات أيديولوجية ٠

● نمط القطبين المحكمين : The Tight Bipolar Model :

يرى كابلان أنه لا يوجد مثال تاريخى لهذا النمط ، لذلك لن نعول عليه ، ويفترض هذا النمط أن كل دول عدم الانحياز انضمت الى كتلة او اخرى ، ويصور هـذا النظام فى اطار عالم تم تقسيمه الى امبراطوريتين رئيسيتين ، الاولى : عـلى رأسها واشنطن ٠ والثانيـة : على رأسها موسكو ، وكل منهمـا يحاول أن يسيطر بشـدة على حلفائه ، مع عداء الكتلة الاخرى ٠

● نمط الفيتو لمعظم الدول : The Unit – Veto Model :

ويعرف هذا النمط أيضا بنمط ما بعد الانتشار النووى : The post-nuclear proliferation model ، ولا يوجـد مثال تاريخى لهـذا النمط ، وفى هذا النظـام تمتلك معظم الدول قدرات نووية ، ويمكن اللجوء اليها لمنع الدول الاخـرى من اتباع سياسات لا تتسم بالصداقة نحوهم ٠

● نمط الأمن الجماعى : The Collective Security Model :

هذا نمط مثالى ، وتعد الأمم المتحدة مثالا لهذا النمط ، ووفقا لهذا النظام فان القوة العسكرية تعد وسيلة غير جائزة ، وأى عـدوان يتم ارتكابه يواجـه من خـلال العقوبات العسكرية والسياسية ، ويمارس ذلك بشكل جماعى ٠٠ وهكذا فان هـذا النظام يمكن أن يحقق السلام بشكل نسبى ٠

وانتقد هذا النظام باعتباره مثاليا وغير عملى ، حيث واجـــه عـدة صعوبات فى الواقع العملى ٠

● نمط تعدد الكتل : The Multibloc Model :

وجد هذا النمط فى اطار عالم قسم الى عدة مناطق للنفوذ ، وكل من هذه المناطق تتكون من عدة دول تسيطر عليها واحدة من القوى الكبرى ، ويتم ذلك من خلال المحالفات كحلف الناتو وحلف وارسو ٠

كما وجد هذا النمط فى اطار آخـر يتمثل فى التكتلات السياسية والاقتصادية فى اطار قارات العالم ٠

● نمط التفتت الوطنى : The National — Fragmentation Model :

وفقـــا لهذا النمط يمكن تصور عمليات عـــدم التكامل السياسى والاقليمى تهـــدد كيان الدول من خلال الحركات العرقيـــة والقبلية ، والعنصرية ، والاقتصادية ٠

● نمط ما بعد الحرب النووية : The Post — Nuclear War Model

وهنا يتم تصور الأرض بعد كارثة نووية مدمرة ، اذ يمكن أن يفنى نصف بليون من البشر ، وتتوقف حـــركة النقل والمواصلات والانتاج الصناعى ، وتظهر مشاكل الايواء والطعام والعلاج ٠٠ وقضـــايا التدمير والاشعاعات والمصابين والمعوقين ، وأمراض الاعصاب وغيرها ٠

● نمط التدرج : The Hierarchical Model :

يعد هذا النمط بمثابة نظام هرمى للتنظيم الدولى ، ويمكن أن يتحقق ذلك بشكل أفضل من خلال حكومة عالمية ، ويمكن لهذه الحكومة أن تقوم على مبادىء فيدرالية وديمقراطية ٠

مراجـــع مختـــــارة

* Couloumbis, Theodore A., *Introduction to International Relations ; Power and Justice*, New Jersey: Printice Hall / nc., 1978.

* Aron, Raymond, *Peace and War: a Theory of International Relations*, New York : Doubleday, 1966.

* Hoffmann, Stanley, *The State of War : Essays on the Theory and Practice of International Politics*, New York; Praeger 1965.

* Colard, Daniel, *Les Relations Internationales*, Paris, Masson,, 1977.

* Morgenthau, Hans J., *Politics among Nations; The Struggle for Power and Peace*, Calcutta, Scientific Book Agency, 1969.

● هانسون و. بالدوين : « **استراتيجية الحد** ، **الاستراتيجية الامريكية فى السبعينيات والثمانينات وحتى سنة ٢٠٠٠** » ، ترجمة د. محمود خيرى بنونة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٢ .

● د. اسماعيل صبرى مقلد : « **العلاقات السياسية الدولية ، دراســة فى الأصول والنظريات** » ، مطبعة جامعة الكويت ، كلية التجارة والاقتصـاد والعلوم السياسية ، ١٩٧٢ .

الحـــركة الاســـتعمارية

يمكن القول أن الحركة الاستعمارية فى العلاقات الدوليـــة هى شكل من أشكال السيطرة أو الهيمنة تمارسه دولة أو أكثر من دولة على دولة أخرى أو على مجموعة دول أخرى ، وان كان فى أغلب الاحيان على مناطق مختلفة وقعت أساسا فيما يسمى حاليا بأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ·· وهناك عـــلاقة وثيقة بين الظاهرة الاستعمارية وبين نظرية القوة الوطنية أو القومية ، فالحركة الاستعمارية فى أحد مظاهرها مظهرا من مظاهر القـــوة الوطنية أو القوميـــة للقائم بالاستعمار ، ومظهر من مظاهر الضعف الوطنى أو القومى للخاضـــع للاستعمار ·· والحركة الاستعمارية بالمفوم الواسع حركة قديمة ، بل يمكن ارجاعها الى ما قبل قيـــام الدولة ، بل أنها كانت قائمة فى العـــلاقات بين الجماعات البشرية المتعددة ، وهى كما ذكرنا مظهر من مظاهر السيطرة ، وعلى هذا الاساس فتاريخ البشرية يبين أن الجماعات البشرية منذ فجر التـــاريخ عرفت أشكال السيطرة وأشكال الخضوع تبعـــا لتغيرات القوى التى كانت سائدة فى ذلك الوقت ·· وبهذا المفهوم أيضا يتبين لنا أن الظاهرة الاستعمارية ما زالت موجودة حتى يومنا هذا ، ويمكن أن نثبت ونؤكد أنها ستظل موجودة وان ما يتشدق به الزعماء السياسيون فى الدول الحديثة بأنهم حصلوا على الاستقلال ، وان عصر الاستعمار قد انتهى هو قول فى حاجة الى مراجعـــة ، فكل ما حصلت عليه الدول النامية أو بعبارة أدق الدول الجديدة هو : شكل من أشكال الاستقلال السياسى الهش ، والواقع يبين أن أغلبية هـــذه الدول ما زالت خاضعة لأشكال السيطرة الاستعمارية بأشكال تتمشى مع طبيعة التطور والديناميكية فى العلاقات الدولية ·

واذا كانت هذه الدول الجديدة حصلت على الاستقلال السياسى ، فانها ما زالت لم تحصل بعد عـــلى ما يمكن أن نسميه بالاستقلال الاقتصـــادى ، بالاضافة الى تعرضها للهيمنة الثقافية أو الغزو الثقافى ، وما يرتبط بذلك من نقصان واقعى فيما يسمى بسيادة الدولة •

وعلى هذا الاساس فاذا كانت ظواهر العلاقات الدولية تتحدث عما يسمى بانحســـار الاستعمار أو تصفية الاستعمار Decolonization ، فالمقصـــود هو انحسار الاستعمار بالمفهوم القديم ، أما الاستعمار والظواهر الاستعمارية فما زالت باقية بالمفاهيم الجديدة التى تتمشى مع ديناميكية العلاقات الدولية ، وقد أثبتت سوابق العلاقات الدولية أن الدولة أو الدول التى تريد أن تتخلص نسبيا من الظواهر الاستعمارية فى العلاقات الدولية يمكن لها أن تبتدع بعض السياسات تذكر منها ما يسمى بعملية بناء الدولة أو بناء الأمة ، وسياسات الدفعات القوية Big Pushes للســـير فى اطار ما يسمى بالتنميـــة والاشتراك بالفعل والقول فى حركات التكامل أو الحركات التكاملية ، والمخرج النهائى Final output لهذه السياسات هو : زيادة القوى الوطنيـــة للدولة أو الدول المعنية ، أما سياسات الشعارات الجوفاء ، والوحدات الكلامية والحركات التكاملية بالكلام ، وسياسة حشد الدهماء والغوغاء فلن تؤدى فى النهاية الى تخلص الدول المتخلفة من الظواهر الاستعمارية •

وهناك بعض القضايا التى تثار فى الحركة الاستعمارية وهى : -

العلاقة بين العامل الاقتصادى والظاهرة الاستعمارية بالمفهوم التقليدى ، اذ ارتبطت الثورة الصناعية فى أوروبا خلال القرن الـ ١٨ بعدة ظواهر منها قضية تصريف الانتـــاج الكبير أو ما يسمى بالبحث عن الاسواق ، وظاهـــرة الحصول على مدخلات الصناعة inputs ، وبعبارة أخرى الحصول عـــلى المواد الخام التى تستخدم فى العملية الصناعيـــة ، الأمر الذى أدى الى تاثير هذه الظاهرة الاقتصادية على الظاهرة السياسية ، وذلك بالسعى نحو قيام

هذه الدول باستعمار عدة مناطق لتأمين هذين الجانبين السابق ذكرهما ، وفيما يتعلق بالعلاقة بين العامل الاقتصادى والحركة الاستعمارية فان النظرية الماركسية اللينينية تذهب الى أن الامبريالية او الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية ، وقد ذهب « لينين » فى هذا الصدد الى أن الرأسمالية ترتبط بالمنافسة ، وهى تؤدى الى قتل الاضعف ، أو اندماجه فى الاقوى نسبيا مما يؤدى الى ما سمى بالاحتكار والتركيز فى النظام الرأسمالي ، وان هذه الاحتكارات أدت بشكل أو بآخر للسعى لتدعيم الظواهر الاستعمارية حتى يمكن تصريف المنتجات الخاصة بهذه الاحتكارات وتأمين الحصول على مدخلات الصناعة او المواد الخام . أما مفكروا الرأسمالية فينحبون الى القول أن النظرية الخاصة بالاستعمار بالمفهوم « الماركسى اللينينى » لا تتمشى مع الواقع ولا ترقى الى مستوى النظرية ، نذكر من هؤلاء « هابرمون جانتو » فقد ذهب الى القول أن معظم الحركات الاستعمارية تمت فى القرون ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، أما التوسع الاستعمارى فى القرنين ١٩ ، ٢٠ فكان اقل شانا من القرون السابقة . بل انه فى هذه الفترة ضعفت نسبيا الحركة الاستعمارية ، بل أنها اتجهت نحو الانحسار والتصفية فى القرن الـ ٢٠ ، ويصل « هانز مورجانثو » من هذا الى أن الاحتكارات الرأسمالية ، وفترة نضج الرأسمالية بلغت ذروتها فى وقت كان التوسع الاستعمارى يتناقص فيه نسبيا ، بل وينجه نحو الانحسار .

الجانب الاستراتيجى وعلاقته بالحركات الاستعمارية : -

تعرضنا للعوامل التى تؤثر فى السياسة الدولية ، وذكرنا العامل الجيوبوليتيكى ، وتعرضنا للعلاقة بين هذا العامل والعامل الاستراتيجى ورأينا كيف كان الفكر الجيوبوليتيكى مؤثرا ومتاثرا بديناميكية العلاقات الدولية ، ونضيف الى ما سبق : ان الظواهر الاستعمارية ارتبطت بالتنافس والتصارع بين القوى الاستعمارية فعندما بدأت ظواهر التوسع الاستعمارى ساد التنافس

بين هولندا وبريطانيا ، وما لبث نفوذ هولندا الاستعمارى أن ضعف نسبيا ثم ظهرت قوى استعمارية أخرى وبالذات فرنسا والمانيا ، وبدأت هذه القوى تتنافس وتتصارع على المستعمرات ، ومفهوم بداهة أنه كانت هناك قوى استعمارية قبل هذه القوى نذكر منها أسبانيا والبرتغال ٠

المهم أن القوى الاستعمارية فى تصارعها أدركت المناطق الاستراتيجية نظرا لوضعها المتميز فى حسم الصراع بين القوى الاستعمارية ، وفقا لمقتضيات العصور المختلفة ٠٠ وعلى هذا الاساس ظهرت أهمية بعض المناطق الاستراتيجية كرأس الرجاء الصالح ، وجبل طارق ، وقناة السويس ، وعدن ، وقبرص ، ومالطة ، وسنغافورة وغيرها ٠٠ بالاضافة الى توفر الموارد الاستراتيجية فى المستعمرات ٠

الدوافع الحضارية للاستعمار : ـ

يزعم الفكر الاوروبى ويركز على أن الدوافع الحضارية كانت من الاسباب الاساسية للحركة الاستعمارية ، ويقولون فى هذا الصدد : « سواء الفرنسيون أو الانجلو ساكسون » أن هناك مسئولية الرجل الابيض : The white man's burden فى تحضير الاجناس الاخرى وان أحد الدوافع الاساسية للاستعمار هو تحضير الاجناس الاخرى ٠٠ وهذا القول ليس صحيحا فى منطقه أو فى كلياته ، فالمصالح كانت هى المحرك الاساسى للظواهر الاستعمارية ، ويمكن القول أن الدوافع الحضارية تعتبر بمثابة السياسة المعلنة للظواهر الاستعمارية ، الا أن الانصاف يقتضى منا القول أن الحركة الاستعمارية ساهمت نسبيا فى تحضير بعض المناطق ، ولا يستطيع أحد أن ينفى تماما هذا الجانب الإيجابى للظاهرة الاستعمارية ٠

وسائل السيطرة الاستعمارية : ـ

هناك عدة وسائل بارزة للسيطرة الاستعمارية من أهمها الوسيلة

العسكرية وكانت هذه الوسيلة أكثر بروزا من الوسائل الاخرى ، فيما يتعلق بما يمكن أن نسميه بالاستعمار التقليدى ، حيث كانت الوسيلة العسكرية هى العامل المسيطر فى الظواهر الاستعمارية ويلى ذلك الوسيلة الاقتصادية ، وقد تبين لنا من خلال دراسة العلاقات الدولية ، كيف أن الامكانيـــة الاقتصادية والعامل الاقتصادى من العوامل المؤثرة فى السياســـة الدولية ، وكذلك فهى مكون من مكونات القوة القومية أو الوطنيـــة ٠٠ ونضيف الى ما ســـبق أن الامكانية الاقتصادية زادت أهميتها نسبيا فى الفترات الاخيرة وبعـد الحرب العالمية الثانية حتى أن البعض وصف الدبلوماسية الامريكيـــة بدبلوماسية الدولار ، والدبلوماسية السوفيتية بدبلوماسية « الروبيل » ويمكن أن نفرق بين الامبريالية فى كل من الدولتين فكلاهما وجهان لعملة واحدة ، وهذه العملة هى التفوق والسيطرة فى العلاقات الدولية ٠٠ وان كانت الامبريالية السوفيتية فى تقدير الكثيرين أشد خطرا من الامبريالية الامريكية نظرا لما تتميز به من عدة صفات أهمها تحطيم القيم الروحية ومحاربة الاديان ، فى سبيل السعى نحو ما يسمى بدكتاتورية البروليتاريا والثورة الدموية ، وشعار : يا عمـال العالم اتحدوا ٠ ولكن هذه مجرد شعارات نظرية حيث أن الواقع يبين عكس ذلك ٠ والتجربة السوفيتية تبين أنه ليست هناك ديكتاتورية بروليتاريـــا ، ولكن هناك ديكتاتورية الحزب ، وداخل الحزب نجد فى النهـــاية ديكتاتورية شخص واحد هو الامين الاول للجنة المركزية ، وهناك من يملكون ومن لا يملكون ٠٠ فبطاقة الحزب أو العضوية فيه أحد الصفات اللازمة لصعود سلم من يملك والعكس بالعكس ٠٠ وهناك مظاهر الثراء النسبى للفئات المسيطرة ، والفقر النسبى للفئات التى تقع فى أدنى المجتمع السوفيتى ، وان كانت الدقة تقتضى القول أن هناك مجتمعات أو قوميات سوفيتية ، وليس هناك ما يمكن أن نسميه بدقة مجتمعا سوفيتيا ٠

الوســـيلة الثقافيـــة : -

وتعنى السيطرة على العقول والافكار ، اذ كانت الوسيلة الثقافية أحـــد

مظاهر الاستعمار التقليدى ، وان كان الاستعمار الفرنسى هو الذى ركز على هذه الوسيلة وتميز بهذه الصفة عن غيره من القوى الاستعمارية الاخرى ، ولذلك سعى هذا الاستعمار لما يسمى بسياسة الادماج : assimilation وتطورت هذه السياسة من خلال التجربة الى ما يسمى فرنسة النخبة ، أى التركيز على النخبة فى المستعمرات والعمل على تشبعها بالثقافة الفرنسية ، وقد وصلت هذه الممارسة الى حد عدم اختلاف هذه النخبة فى فرنستها عن الفرنسى ، الا فى اللون فقط ٠

وكان هذا أحد العوامل التى لا زالت تفسر لنا حتى اليوم طبيعة العلاقة الخاصة نسبيا بين فرنسا وبين دول الفرانكفون غير العربية ٠٠ ومن هنا نجد أن الغزو الثقافى من الوسائل البارزة فى العلاقات الدولية ، وهو شكل من أشكال السيطرة الاستعمارية فالجامعات الامريكية فى مختلف أنحاء العالم والمؤسسات التعليمية الالمانية الغربية هى فى أحد مظاهرها مظهر من مظاهرها الغزو الثقافى ، فاذا تعاملنا معها فيجب أن ندرك أنها تسعى لتحقيق مصلحة معينة ، وانما نسعى بدورنا لتحقيق مصلحة معينة ، ولكن المهم ان يكون هناك تقدير عاقل لطرق التلاقى أو عدمه لهذه المصالح بين الطرفين ، أو للأطراف المعنية ٠

المواجهة الاستعمارية للصراع الاستعمارى : ـ

هناك عدة أساليب اتبعت لمواجهة الصراع الاستعمارى بين القوى المتنافسة : ـ

اولا ـ توزيع مناطق النفوذ : Spheres of influence :

يعد أسلوب توزيع مناطق النفوذ من الاساليب التى كانت بمثابة تقسيم المناطق المستعمرة بين القوى الاستعمارية وذلك بالاتفاق بين القوى على حلول معينة أو تسويات معينة فيما بينها وعلى حساب المناطق

المستعمرة ومن الامثلة على ذلك الوفاق الودى البريطانى الفرنسى سنة ١٩٠٤ الذي بمقتضاه تطلق بريطانيا يد فرنسا فى المغرب وتطلق فرنسا يد بريطانيا فى مصر ، ويدخل فى هذا الاسلوب أيضا تقسيم المغرب « مراكش » بين القوى الفرنسية والقوى الاسبانية على حساب المنطقة المراكشية بالاضافة الى اتفاق الدول الاستعمارية بمقتضى معاهدة سايكس بيكو على تقسيم مناطق عربية بين هذه القوى بعد أن استطاعت بريطانيا أن تراسل الشريف حسين وتجعله يعلن الحرب على تركيا الاسلامية ، تحت ما يسمى باستقلال الدول العربية عن الدولة العثمانية ..

ويلاحظ أن كثيرا من المؤرخين المصريين يقومون بتشويه حقائق التاريخ ، وذلك بالتعرض للدولة العثمانية ووصفها بانها حركة استعمارية ، اذ أن هذا غير دقيق فى كلياته ، حيث كان المفهوم السائد للدولة فى هذا الوقت هو الدولة الدينية ، وتحت ما يسمى بالدولة الدينية برزت الدولة العثمانية ، ومن هنا فقد استطاعت بريطانيا وفقا لسياسة « فرق تسد » أن تجعل المسلمين يحاربون بعضهم بعضا تحت شعار استقلال البلاد العربية .. وفى هذا الاطار وصل « النبى » البريطانى الى بيت المقدس ، ثم قال قولته المشهورة : « الآن انتهت الحروب الصليبية » ، وبعد ذلك بدأت القوى الكبرى فى التآمر على البلاد العربية . ومن هنا كان اتفاق «سايكس بيكو» الذى أعلنته البلشفية بعد أن انتهى النظام القيصرى .

ثانيا ـ قيام الدولة العازلة : Buffer State :

يعد أسلوب قيام الدولة العازلة أيضا من أساليب التسوية بين القوى الاستعمارية ، ومن أمثلته قيام أفغانستان كمنطقة عازلة بين الهند وروسيا وبمقتضى اتفاق بريطانى روسى عام ١٩٠٧ .

ثالثا - الحكم الثنائي : Condominium :

وهو ببساطة يعنى أن دولتين مسيطرتان من الناحية القانونية على منطقة ثالثة هى الخاضعة للحكم الثنائى ٠٠ ومن الامثلة على ذلك ما سمى بالحكم الثنائى البريطانى المصرى للسودان ٠٠ ومن الناحية الفعلية كانت مصر خاضعة للاستعمار البريطانى ، وبالتالى فكان دورها دورا اسميا فى الحكم الثنائى على السودان ، ويمكن تفسير الدافع البريطانى هذا الى محاولة ايجاد نوع من الشقاق والخلافات بين مصر والسودان ، الأمر الذى يساعدها فى السيطرة على السودان ٠

التطور الاستعمارى : -

يلاحظ أنه مع التطور الاستعمارى برزت أساليب جديدة للمساومة بين القوى الاستعمارية ، واذا كان التطور فى أوروبا وما ارتبط به من عصر النهضة والثورة الصناعية ، أدى الى تزايد الهوة بين أوروبا من جانب والقوى الآسيوية والافريقية من جانب آخر ، وهذا يساعدنا على تفهم نجاح الحركة الاستعمارية ابتداء من الاستعمار الهولندى والبريطانى وما تلاه من بروز القوى النسبية للاستعمار البريطانى والاستعمار الفرنسى ، والتدهور النسبى لنحركة الاستعمارية الايطالية والالمانية ، ويدخل فى هذا الصدد استقلال المستعمرات الامريكية عن بريطانيا فى عام ١٧٧٦ ، الأمر الذى أدى الى قيام القوى الاستعمارية البريطانية بالاتجاه الى سياسة التعويض عما أصابها من فقدان مستعمراتها الامريكية ، وذلك باستعمارها « سيلان » والملايو «ماليزيا» وسنغافورة ، وهونج كونج ، ثم اتجاهها للتوغل فى الاراضى الصينية ، واستخدامها الافيون فى توغلها فى الاراضى الصينية ، ولذلك حاربت بريطانيا الصين عام ١٨٣٩ وانتصرت عليها عام ١٨٤٢ ، ويذهب الدارسون الغربيون الى أن بريطانيا استخدمت التبشير المسيحى كأداة استعمارية فى مستعمراتها فى آسيا وأفريقيا ، كما أنها دعمت سيطرتها على جنوب أفريقيا ، وذلك بان

استفادت من ضعف هولندا ، وذلك بأن حلت محلها فى هذه المناطق ، وعلى الجانب الآخر استطاعت فرنسا أن تدعم استعمارها لمناطق شاسعة فى افريقيا فاحتلت الجزائر عام ١٨٣٠ وسيطرت على شمال افريقيا ١٨٨٤ واستولت على الهند الصينية ، كما احتلت بريطانيا مصر سنة ١٨٨٢ واستمر الحال عن هذا الوضع حتى قامت الحرب العالمية الاولى التى انتهت بقيام عصبة الأمم وكان مقرها جنيف ، وتمخض عن هذه المنظمة ما سمى بنظام الانتداب : mandate ، فوفقا لعقد عصبة الأمم قام نظام الانتداب وذلك بقيام القوى المنتصرة فى الحرب العالمية الاولى بالانتداب على عدة مناطق وبالذات المناطق التى كانت خاضعة لالمانيا المنهزمة في الحرب .. اى انه وفقا لهذا النظام اضفى طابع قانونى دولى على بعض جوانب الظاهرة الاستعمارية تحت اسم نظام الانتداب .. وبعد أن قامت الحرب العالمية الثانية ، وانهزم المحور برز نوع جديد من اشكال المساومة الاستعمارية وهو ما عرف بنظام الوصاية .. فوفقا لاحكام ميثاق الأمم المتحدة أنشىء نظام الوصاية واصبحت هناك عدة دول وبالذات الدول الكبرى قائمة بالوصاية على عدة مناطق فى العالم ، لم تبلغ بعد سن الرشد ، وبهذا أضفى ميثاق الأمم المتحدة طابعا قانونيا دوليا على هذا الشكل من اشكال المساومة الاستعمارية ، ووصفه بنظام الوصاية ، بل ان الأمم المتحدة أنشأت ما سمى بمجلس الوصاية للاشراف على المناطق الخاضعة للوصاية ، ومن الناحية الفعلية يتبين أن كل هذه الاشكال فى جوهرها ظواهر استعمارية وشكل من أشكال السيطرة تمارسها قوى كبرى على حساب القوى الاضعف .

وبعد الحرب العالمية الثانية برزت ظاهرة الاستقلال السياسى لكثير من المناطق المستعمرة فى العالم تحت ما سمى بتصفية الاستعمار أو انحساره ، ومن هنا وجدت ظاهرة الدول الجديدة أو الدول الحديثة العهد بالاستقلال ، وهذه الدول حصلت على استقلال اسمى ، فى الواقع ، وليس استقلالا فعليا لان ديناميكية العلاقات الدولية تبين أن اشكال السيطرة والنظام الدولى

ما زالت وستظل موجودة ، فلم تعرف العلاقات بين المجتمعات البشرية بل وبين افراد المجتمع فى اطار العلاقات الدولية توقفا لظاهرة الصراع وما ارتبط بها من تفوق وخضوع ، ومن هنا فان القوى تقوم بدور يعتد به فى حسم هذه الصراعات ، بل وفى فرض أنواع السيطرة من عدمه ، وعلى هذا الاساس فان الدول الجديدة ما زالت تتشدق بالاستقلال ، وان الاستعمار أخذ عصاه ورحل بينما الواقع يقول أن الظواهر الاستعمارية ما زالت موجودة ولكنها تأخذ اشكالا مختلفة وفقا للتطور وامكانيات القوى وما يطرأ عليها من تغير ، وقد برزت بعد الحرب العالمية الثانية ، أو بعبارة أدق : بعد حصول كثير من الدول على استقلالها السياسى ما سمى بالاستعمار الجديد ، ويلاحظ أن المدرسة الماركسية ، أو المنهج السوفيتى فى الاستعمار الجديد يصل على لصق هذه الصفة بالقوى الغربية ، ويحاول أن يبرىء نفسه من هذه التهمة ، فالامبريالية عند المدرسة الماركسية هى القوى الاوروبية والامريكية ، أما القوى السوفيتية فهى بريئة من الاستعمار الجديد ، وللأسف الشديد فان كثيرا من الماركسيين فى العالم العربى ، عن وعى أو عن جهل ، صدقوا هذا الاتهام وأخذوا يروجون شعارات الاستعمار الجديد ، فى اطار مهاجمة الامبريالية الامريكية ، والامبريالية الاوروبية الغربية ، ونسى هؤلاء الماركسيون ، عن جهل أو عن وعى ، أن الامبريالية واحدة لأنها تعنى مظهرا من مظاهر السيطرة سواء كانت امريكية أم سوفيتية .. المهم أن الاستعمار الجديد يعنى شكلا من أشكال السيطرة ، وعلى وجه الخصوص السيطرة الاقتصادية والثقافية ، وعلى هذا الاساس فان السيطرة الاقتصادية أو الثقافية قد ترتبط بالاتحاد السوفيتى كما ترتبط بالولايات المتحدة .

ولعل من الممكن أن نضيف الى أشكال الاستعمار ما يعرف بـ : « الاستعمار الاستيطانى » كالاستعمار الاستيطانى فى فلسطين ، أو فى جنوب افريقيا ..

● ● ●

مراجـــع مختـــــارة

* Colard, Daniel, *Les Relations Internationales*, Paris : Masson, 1977.

* Morgenthau, Hans J., *Politics among Nations : The struggle for power and peace*, Calcutta, Scientific Book Agency, 1969.

* Couloumbis, Theodore A. and Wolfe, James H, *Introduction to International Relations : Power and Justice*, New Jersy : Prentice Hall Inc., 1978.

● د٠ اسماعيل صبرى مقلد : « **العلاقات السياسيه الدوليه ، دراسة في الأصول والنظريات** » ، مطبعة جامعة الكويت ، كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٧٢ ٠

صناعة السياسة الخارجيـــة

عناصر السياسة الخارجية : ـ

يبين الشكل التالى عناصر السياسة الخارجية ، ويسميها البعض عملية السياسة الخارجية : ـ

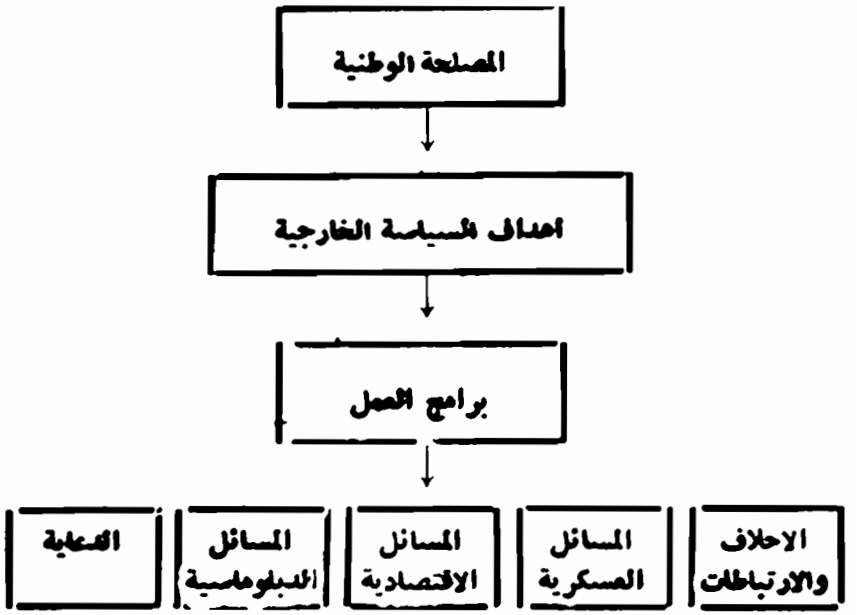

اولا ـ عملية السياسة الخارجية أو عناصرها **Foreign policy process**

ظواهر العـــلاقات الدولية ارتباطية تؤثر وتتأثر ، وهى ايضـــا ظواهر تفاعلية ، ويبين الشكل السابق كيفية تكوين السياسة الخارجية .

اولا - المصلحة الوطنية : National interest

طريقة تقدير المصلحة الوطنية ليست سهلة ، فاذا كان هناك نظام يخدم سياسة معينة ، فهذا النظام عندما يقرر المصلحة الوطنية بشكل دقيق يجد صعوبة ، فهى عملية فى حاجة الى روح الفريق والمختصين ، وهنا يظهر دور معاهد البحوث ، فعملية الترشيد فى حاجة الى اخصائيين فى العلوم السياسية الاقتصادية ، وعلوم الحرب ، وعلوم الاجتماع ، والعلوم التطبيقية ، وهى تعنى أنها مخرج للعوامل المؤثرة فى العلاقات الدولية ، وعناصر القوى الوطنية وما يرتبط بذلك على وجه الخصوص ، لاعتبارات الديناميكية الاجتماعية ، والموقع والامكانية العسكرية والاقتصادية والديموجرافية والهيكل السياسى أو البنيان السياسى ، وهل هو ديموقراطى أم أوتوقراطى . وعوامل أقليمية خاصة بالنظام الاقليمى وهل هو نظام تابع Subordinate System أم نظام مسيطر Dominat system ، وقضايا النظام الدولى وما يرتبط بها ، كل هذه العوامل من المفروض أن تعد بمثابة المدخل In put والمصلحة الوطنية هى المخرج : Out put .

طرق تقدير المصلحة الوطنية : -

كل هذه العوامل ترتبط بما يسمى طرق تقدير المصلحة الوطنية . ويلاحظ أن طرق التقدير تعتمد على عنصرين رئيسيين وهما : -

١ - الطريقة التقريرية .

٢ - الطريقة القيمية Value

الطريقة التقريرية : لا خلاف عليها فى كثير من الحالات بين الافراد .

الطريقة القيمية : قد يحدث اختلاف عليها .

فالميول السياسية لبعض الافراد أو الانتماء الى حزب معين كالحزب النازى

والحـــزب الفاشي ، أو الانتماء الى تنظيم سري معين ، أو الطـــابور الخامس ، الجاسوسية ، كل هذه العوامل تؤثر على اتجاهات وسلوك الافراد ، ومثل هؤلاء الافراد يرون العالم من خلال هذه القيم والمعتقدات .. والخطورة في هذا الصدد أن رؤية العالم ، رؤية القضايا من خلال هذه النظرية تؤدى الى اغفال الكثير من الجوانب من قبل هؤلاء الافراد .

اهداف السياسة الخارجية : -

يأتي هذا العنصر من الناحية العملية في مرتبة تلي مباشرة عنصر المصلحة الوطنية ، حيث أن أهداف السياسة الخارجية تابع من توابع المصلحة الوطنية . وفيما يتعلق ببناء أهداف السياسة الخارجية يتم تحديد أهداف طويلة الأمد للسياسة الخارجية ، كما يمكن تحديد أهداف متوسطة الأجل وقصيرة الأجل أيضا .. وفي نفس الوقت توضع أولويات للأهـــداف ، وقد تقضي الضرورة التضحية ببعض الاهداف لصالح تحقيق أهداف أخرى أهم ، كما يتم التمييز بين الاهداف المعلنة ، والاهـــداف الفعلية ، بمعنى أن ضرورات السياســـة الدوليـــة قد تقتضي الاعـــلان عن أهداف معينة ، وعدم الاعلان عن أهداف أخرى وفقـــا لضرورات هـــذه السياسة .. وعادة ما تتمشى الاهداف مع الاحتياجات الفعلية للدولة .

برامج العمـــل : -

حيث أنه من المفروض أن تترجم المصلحة الوطنية والاهداف الى برامج عمل في فترة معينة ، وبرامج العمل ببساطة هي مشروعات محددة في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والدعائية تمـزج ما بين بعض جـــوانب المصلحة الوطنية وبعض أهداف السياسة الخارجية وبعض الوسائل اللازمة لهذا التحقيق .. وعادة ما تقسم برامج العمل وتوضع وفقـــا لوزن الدولة ، وامكانياتها ، والاحداث والظروف الدولية ، وارتباطات الدولة المعنية ، وعلى

هذا الاساس يمكن تقسيم برامج العمل الى خمسة أقسام : ـ

١ ـ برامج عمل فى مجال الاحـــلاف والارتباطات : اذا كانت الدولة ترتبط بسياسات الاحلاف أو ترتبط ببعض الترتيبات العسكرية ، ويلى ذلك :

٢ ـ برامج العمل العسكرية : وتزداد اهميتها كلما زاد وزن الدولة وكلما واجهت قضايا ملحة ٠

٣ ـ برامج العمل الاقتصـــادية : وتزداد اهميتها كلمـــا زادت الامكانيات الاقتصادية للدولة أو كلما واجهت الدولة قضايا اقتصادية ملحة ٠

٤ ـ برامج العمل الدبلوماسية : وينطبق عليها ما يتعلق بدورها فى المجـال الدولى ، وزيادة فاعليتها ٠

٥ ـ البرامج الدعائيـــة : وتتعلق بدور الدعاية فى السياسة الخارجيـــة ، ويتعاظم هذا الدور بتعاظم دور الدولة ٠

العلاقة بين البيئة والسياسة الخارجية : ـ

يمكن أن نميز ما بين البيئـــة العمليـة Operational environment والبيئـــة النفسية Psychological environment ويقصد بالبيئة العملية المحددات أو الحدود الواقعية التى تؤثر فى السياسات الخارجية كالوضـع الجيوبوليتيكى ، والامكانيـــات الاقتصادية والديموجرافية والعسكريـــة والتكنولوجية والبيئة النفسية ، وهى أصعب تحديدا من الناحية العمليـــة ، نظرا للصعوبة النسبية لقياسها ، والتى تتناول ما يسمى بالطابع القومى أو الوطنى National character لشعب معين أو غيره ، وخصائص الشخصية الوطنية لهذا الشعب ، وكثيرا ما يكون هناك تفاعل بين المـيراث التاريخى ، والشخصية الوطنية لشعب معين أو لغيره ، كما تنطبق البيئة النفسية أيضا على الخصائص النفسية للحكام ، فاذا سلمنا بوجود خصـــائص سيكولوجية

عامة لشعب معين ، فانه داخل هذه الخصائص المشتركة ، توجـــد اختلافات بين أفراد هذا الشعب من الناحية السيكولوجية ، واذا اردنا ان نضرب مثالا يوضح البيئة السيكولوجية فان دراسة « مايكل بريتشر » عن نظام السياسة الخارجية الاسرائيلية توضح لنا البيئة السيكولوجية ، فالبيئة السيكولوجيـة للصهيونيين ، والاسرائيليين : تتعلق بعدة جوانب منها الميراث التاريخي المتعلق بالجيتو ، والذى يعنى الاماكن المنعزلة التى عاش بها اليهـــود فى أوروبا او ما يسمى عندنا « حارات اليهود » ، وهذه الانعزالية ولدت عدة خصائص منها الانعزالية اليهودية ، والتضخيم فى الذات فى بعض الاحيان ، وان كان هـــذا التضخيم قد جاء فى أعقاب التقليل فى الذات ، نتيجة لاضطهاد اليهـــود فى اوروبا ومعاملتهم « كعناصر منحطة » ، بالاضافة الى ما يسميه البعض « عقدة الاغتصاب » ، بحيث أن الشخصية اليهودية التى اغتصبت على مر العصور تعمل على تعويض هذا الاغتصاب ، وذلك باغتصاب شعوب اخرى منها الشعب الفلسطينى ، أما ما يتعلق بالخصائص الخاصة للزعامة الصهيونية ، فانه رغم وجود صفات عامة للصهيونيين أو الاسرائيليين فانه داخل هـــذه الخصائص العامة توجد خصائص خاصة بين هذه الزعامات ، فاذا كان « ديفيد بن جوريون » اول رئيس لوزراء الدولة الصهيونية ، تميز بنزعة السيطرة والانفراد باتخاذ الكثير من القرارات ، فان هذه النزعة قلت نســـبيا لدى زعيم مثل « ليفى اشكول » ، الذى تولى منصب رئاسة الوزراء فى اسرائيل ٠٠ كما أن شخصية « مناحم بيجين » أكثر تشددا وأكثر ذاتية من شخصية « جـــولدا مائير » ٠٠ ويتضح لنا من هذا المثال معنى البيئة النفسية ، او ما يمكن أن نسميه بالابعاد السيكولوجية للبيئـــة ٠

كذلك تعد السياسة الخارجية امتدادا للسياسة الداخلية ، حيث انهـا تعكس الاوضاع الداخلية وتؤثر عليهـــا وتتاثر بها ، وكلما كانت السياسة الداخلية أكثر قوة وتماسكا ، كلما ساهم ذلك فى زيادة فاعلية السياســـة الخارجية ٠٠ اذ تعد قضايا السياسة الخارجيـــة والداخلية نتاجا للنظـــام

السياسى .. وعلى سبيل المثال : فان تنمية الاقتصاديات الوطنية قد يحتاج الى الاستفادة من التقدم التكنولوجى وخبرات الدول الاخرى ، وقد يحتاج الأمر الى التوسع فى الاسواق عبر الحدود الدولية ، وهذا يبين العلاقة بين السياسة الداخلية والدبلوماسية الخارجية .

قرارات السياسة الخارجية : ـ

يعد القرار ببساطة اختيار لبديل alternative من البدائل ، ويتم اعداد البدائل بناء على توفر معلومات معينة متعلقة بالبديل ، وتحديد ما له وما عليه ، ثم يتخذ القرار ، ومن المفروض أن يختار البديل الذى يحقق أكبر قدر ممكن من المزايا واقل قدر ممكن من الخسائر ، وبالتالى فان القرار فى حد ذاته يعد مغامرة .

وفى النظم الديمقراطية تتعدد مؤسسات صناعة القرارات ، الأمر الذى يزيد من ترشيد القرار ، ويجعله أكثر دقة من غيره .

وفى الدول المتطورة ، يتم الاستعانة بفريق عمل Team Work عند صناعة القرارات ، وذلك من المستشارين فى التخصصات التى يتطلبها القرار ، وهذا يساهم فى زيادة فاعلية السياسة الخارجية لهذه الدول .

وتزداد مسئولية صانع القرار عند التعرض للقرارات المصيرية : Fatal decisions وهى التى تعدم لنا حكما على مدى دقة صانع القرار فى اختيار البدائل ، وتقدير الامكانيات ، حيث أن أى خطأ قد يترتب عليه خسائر فادحة .. على عكس القرارات الاخرى كتلك التى تتناول أمورا عادية أو التى تتسم بتأجيل الموضوع المعروض أو تمييعه ، وهى التى تعنى امكانية تأجيل اختيار البدائل اذا لم تكن هناك ضرورة ملحة ، واذا لم تتوافر امكانيات التنفيذ . وهناك القرارات الروتينية التى تتناول القضايا غير الملحة والتى تثار بشكل متكرر .

ويزداد الأمر تعقيدا بالنسبة للقرارات التي تتناول السياسة الخارجية ، حيث أن المعلومات المتوفرة عن الدول الاخرى ، قد لا تكون بالدقة المنشودة اذا قورنت بالمعلومات المتوفرة عن المسائل الداخليـــة ، وكلما كانت المعلومات المتعلقة بالدول الاخرى التي يشملها القرار أكثر دقة ، كلما ساهم ذلك في قوة القرارات المعنية ·· وينطبق نفس الشيء على المسائل المتعلقة بادارة الصراعات الدولية ولا سيما ابان الازمات الساخنة حيث أن مدى دقة المعلومات المتعلقـة بالخصم تفيد في عملية تكوين البدائل وصناعة القرارات ، كل ذلك يبين أهمية الاستعانة بالمتخصصين في صناعة القرارات المتعلقة بالسياسة الخارجيـــة ، واهمية تدريب العاملين في هذه المجالات ، وانشاء كليات علمية متخصصة في العلوم السياسية والاعلامية تفيد الاحتياجات العملية ·

دور وسائل الاعلام في صناعة قرارات السياسة الخارجية : ـ

هناك علاقة بين الاعلام الدولي والسياسة الخارجية ·· وهناك قـــوة ذاتية للاعلام الدولي وقوة يعكسها الاعلام الدولي خاصة ، بالمقارنة بالوسائل الاخرى للسياسة الخارجية ، اذ يؤثر الاعلام الدولي على عملية صناعة القرارات من خلال تعرض exposure النخبة ، أو صانعي القرارات ، لهذا الاعلام ، حيث أن المعلومات التي يحصلون عليها من وسائل الاعـــلام تكون بمثـــابة المدخلات inputs لعملية صناعة القرارات ، وهنـــاك دراسات خاصـــة بالقابلية للقراءة readability لدى الزعماء لصحف دون اخرى ، الامـــر الذي يؤثر على عملية صياغة القرار ·· وبالاضافة الى ما سبق يمكن أن نميز بين القرار الاتوقراطي ، والقرار الديمقراطي ، ودور وسائل الاعلام في القرار الاوتوقراطي هو نقل قرارات الحاكم الى المحكوم ، ومحاولة استمالة المحكومين تجاه الحاكمين ·

أما دور وسائل الاعلام في القرار الديمقراطي فهو دور مزدوج ، حيث أنها تنقل مواقف الحاكم الى المحكوم ، ومواقف المحكوم الى الحاكم ، اي أنها تدعم

حكم الشعب أو بعبارة أدق حكم الاغلبية ٠

وهكذا تساهم وسائل الاعـــلام بدور فى صناعـــة قرارات السياســـة الخارجية ، فمحتوى وسائل الاعلام يعد مصدرا من مصـــادر المعلومات التى تساهم فى تقديم البدائل المتعلقة بالقرارات ، وصناعة القرارات ذاتها ٠

وبالنسبة للدول النامية ، يبرز دور وكالات الانباء الدوليـــة والاذاعات الدولية والصحف الدولية ، كمصدر من مصـــادر المعلومات التى تساعد فى صناعة قرارات السياسة الخارجية ، وهذه المصادر تخدم سياسات معينـــة ومصالح معينة ، الأمر الذى يتطلب وجود خبراء يساعدون فى تحليل هـــذه المصادر والاستفادة منها ، مع ادراك أنها تخدم مصالح وسياسات معينة ٠

كما أن تطـــوير وسائل الاعلام يساعد على اقناع الجمـــاهير بقرارات السياسة الخارجية والارتفاع بثقافتهم السياسية ، وزيادة مشاركتهم السياسية أى زيادة تفاعلهم مع النظام القائم وتاثيرهم فيه وتاثرهم به ٠

كما يمكن لوسائل الاعـــلام أن تنقل مواقف الجمـــاهير الى صانعى القـــرارات ، الأمر الذى يساعد عـــلى زيادة التفاعل بين صانعى القرارات والجماهير ٠٠ كل ذلك يبين اهمية توفر كوادر سياسية ، واعـــلامية مؤهلة للارتقاء بوسائل الاعلام والاستفادة منها فى مجالات عديدة ، ومنها نقل مواقف الجماهـــير الى الحكام ، ونقل مواقف الحكام الى الجمـــاهير ، الأمر الذى يزيد من شـــعبية صانعى القـــرارات ، ويضفى طابعا عصريا عـــلى شعبية السياسة الخارجية ٠

واذا طبقنا ذلك على الدول العربية فانه اذا ظهرت خلافات عربية ، فمن الاهمية بمكان لوسائل الاعلام العربية أن تتناولها بشكل يقلل من الخلافات ويزيد من التفاهم ، وأن يتمشى مضمونها مع الاعتبارات العصرية التى تبتعد عن التشنج والاحكام المتعصبة وتتسم باتساع الافق ، والنظر الى الموضـــوع

بزوايا مختلفة ، وحتى تكون وسائل الاعلام العربية أداة من أدوات التفـــاهم العربى حتى اذا وجدت خلافات بين الدول العربية ٠

ومن الاهمية بمكان مراعاة الفرق بين السياسة المعلنة declaration policy والسياسة الفعلية action policy فكثيرا ما تقضى الظروف عدم اذاعة أو نشر بعض النقاط المتعلقة بالسياسة الفعلية في وقت معـين ، وفى بعض الاحيان لا تتمشى السياسة المعلنـــة مع السياسة الفعليـــة ، وذلك مراعاة لتحقيق أهداف معينـــة ، أو ملابسات معينة ، وعادة ما يقع دور الاعلام فى اطار السياسة المعلنة بمعنى شرحها للجماهير ، ونقل مواقف الجماهير بشأنها الى صانعى القرارات ٠

تنفيذ السياسة الخارجية : ـ

هناك نقطتان أساسيتان تتعلقان بتنفيذ السياسة الخارجية :

اولا ـ عدم قدرة صانع القرار على السيطرة على ما يسمى بالبيئة الدولية :

ومن هنا تأتى صعوبة التنبؤ بقرارات السياسة الخارجية ، فاذا كان هناك قرار داخلى خاص بافتتاح مكتب بريد ، أو انشاء كلية ، يتضمن سيطرة صانع القرار على كل ما يتعلق بالموضوع تقريبا ، فان قرار شن الحرب ، أو قطع العلاقات مع دولة كبرى لا يتضمن سيطرة صانع القرار على الطرف أو الاطراف الاخرى ، نظرا لأنها لا تدخل ضمن اطار الدولة المعنية ، وبالتالى يصعب لدى صانع القرار ان يتنبأ بمستقبل هـــذا القرار ، فالبيئة الدولية The international environment تأتى من عدة عوامل أهمها : عدم قدرة الدول على أن تسيطر عـــلى أنشطة الدول الاخرى ، وعدم قدرة الكثير من الدول على التنبؤ بالمتغـــيرات السائدة فى البيئة الدولية ٠

ثانيا - المغامرة وعدم التأكد : -

نظرا لأن قرارات السياسه الخارجية تتضمن أطراف أخرى خارج حدود الدولة المعنية ، وبالتـــالى فان هناك نقصا نسبيا فى السيطرة عـــلى كل الجوانب للموقف ، ومن هنـــا أتى ما يسمى سوء التقدير miscalculation ، أو المغامرة في عمليـة السياسة الخارجية ، وهذا لا يعنى أن قرارات السياسة الخارجية قرارات غير علمية ·· فايا بلغت علمية هذه القرارات فهناك نقص نسبى فى المعلومات المتعلقة بالعناصر الخارجية ، وهذا يؤكد ما ذكرناه من عدم الدقة والمغـامرة فى قرارات السياسة الخارجية ·· وهناك الجهات المعنية بتنفيذ السياسة الخارجية كالسفارات والمنظمات الدولية فى بعض الحالات ، والاجهزة المتعددة فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدعائية ، فمن الاهمية بمكان تزايد كفاءة الاجهزة ، وتزايد فاعلية دورها فى عملية تنفيذ السياسة الخارجية ·

وتكمل انشطة هذه الاجهزة بعضها البعض ، وبالتالى فان كل جهاز يستفيد ويفيد فى آن واحد ، وهذا يوضح الدور التكاملى لأجهزة تنفيذ السياسة الخارجية ·

السيطرة والتنسيق فى السياسة الخارجية : -

يبين العرض السابق أن تعقيدا شديدا يحيط بطبيعة واحتياجات السياسة الخارجية ، فالعرض السابق الخاص بعناصر السياسة الخارجية يمكن الاضافة اليه أن الزعيم الوطنى لا يستطيع السيطرة على السياسة الخارجية وفرض ارادته على البيئة الدولية ، وان كان دور الزعيم الوطنى يتزايد كلما تزايدت امكانات دولته المتعلقة بالقوة الوطنية National Power ، مع الأخـــذ فى الاعتبار تعقيدات النظام الدولى والتصارع بين المصالح ·

ويزداد الأمر تعقيدا اذا نشبت أزمة فى السياسة الخارجية ، وهذا الأمر قد يهدد المصالح الحيوية للدولة ، بل قد يهدد حـــدود الدولة ووجودها فى حد ذاته ، وكل هذا يبين أهمية الاهتمام بصناعة السياسة الخارجية وما يحيط بها من أمور ٠

ويؤخذ فى الاعتبار دور أجهزة المخابرات ، فى تقديم المعلومات التى تفيد فى صناعة وتنفيذ السياسة الخارجية ، وكثيرا ما يؤثر تقدير المخابرات على السياسة ، فالتقدير المضلل أو الفشل فى متابعة التطورات ، قد يؤثر عـــلى وضع الدولة فى الشئون الدولية وذلك يبين أهمية الارتقاء بأجهزة المخابرات والكوادر العاملة فيها ٠

والتنسيق بين أجهزة تنفيذ السياســة الخارجية ، أمر مفيد للغـــاية ، ويساعد على زيادة فاعليتها ، ويمنع التضارب فى العمل الاعلامى ، وكثـــيرا ما يؤدى اغفـــال التنسيق الى اخفاق السياسة الخارجيـــة فى بعض أو كل جوانبهـــا ٠٠

ويتضح من العرض السابق التعقيدات المتعلقة بصناعة السياسة الخارجية سواء من حيث عناصرها ، أو العلاقة بين البيئة والسياسة الخارجية وقرارات السياسة الخارجية ، واهمية دور وسائل الاعلام فى صناعة قرارات السياسة الخارجية ، وتنفيذ السياسة الخارجية ، واهميـــة السيطرة والتنسيق فى السياسة الخارجية ٠

ويزداد الأمر أهمية اذا أخذنا فى الاعتبار استفادة الدول الكبرى من التقدم العلمى فى مجـــال صناعة السياسة الخارجية ، والاعتماد عـــلى الدارسين والمتخصصين ، وهذا يضاعف من مسئولية الدول النامية فى زيادة فاعليـــة سياستها الخارجية ، الأمر الذى يجب النظر اليه بعين الجد ٠

●●●

عملية صناعة القرارات في السياسة الخارجية الأمريكية

تؤثر السياسة الخارجية للولايات المتحدة على أمن أوروبا والأمن العالمي . واتسمت السياسة الخارجية الامريكية في أول الأمر بالعزلة وساعد على ذلك وضعيتها الجيوبوليتيكية ، ثم ما لبثت أن تخلت عنهـــا في اطار الالتزامات الجديدة للسياسة الامريكية .

ومن الناحية القانونية فان للكونجرس الامريكي سلطة اعلان الحرب واقامة السلام وابرام المعاهدات والموافقة على تعيين السفراء .

أما الرئيس فيقود من جانبه القوات المسلحة ، ويعين السفراء والمبعوثين ، وهو المسئول عن ادارة الدبلوماسية .

وتعـــد وزارة الخارجية Department of State المنظمـــة المركزية في عملية السياسة الخارجية ، كما تعـــد مركزا رئيسيا للمعلومات عن العلاقات الخارجيـــة ..

أما وزارة الدفاع : The Department of Defence فهي من الاجهزة المؤثرة في عملية السياسة الخارجية .

وفي عام ١٩٤٧ م . انشـــا الكونجرس المؤسسة العسكرية الوطنية : National Military establishment وتشمل وزارة الدفاع ، ويرأسها وزير مدني ، بالاضافة الى هيئة الاركان المشتركة .. وتتولى وزارة الدفاع توجيه الخدمات المسلحة ، أما هيئة الاركان فتتولى تقديم المشورة العسكرية للرئيس الامريكي .

وتشمل وزارة الدفاع أكثر من ٣ مليون مدني وعسكري ، ولها ميزانية ضخمة قدرت بـ ٨٨ بليون دولار في العام المالي ١٩٧٥ .

وبالتالى تأثير المؤسسة العسكرية على صناعة السياسة الخارجيـــة من : Secretary of Defence وزير الدفاع ، وهو مثل وزير الخارجية عضو فى وزارة الدفاع ، ويعد رمزا للسيطرة المدنية ·

اما المخـــابرات ، فتشـــمل وكالـــة المخـــابرات المـــركزية : The central intelligence Agency ومنذ عام ١٩٤٧ تعد مصدرا اساسيا للتخابر الاستراتيجى ، ويتولى رئيسها رئاسة هيئة المخابرات الامريكية : US Intelligence Board ويعد مستشار الاستخبارات للرئيس الامريكى وهناك عدة منظمات اخرى تتمثل فى ال Board ، وهى وكالة المخابرات الحربيـــة The Defence Intelligence Agency وتتبع وزير الدفاع · ووكالة الامن القومى The National Security Agency ولها مسئولية خاصة فى الاستخبارات الالكترونيـــة ، بالاضافة الى مكتب الاستخبارات والبحوث التابع لوزارة الخارجية ·

The State Department's Bureau of Intelligence and Research

ويعمل على توفير المعلومات من خلال التقارير الخارجية ·

واذا كانت وزارة الخارجية ووزارة الدفاع من العـــوامل الاساسية فى صناعة السياسة الخارجية الامريكية فان هنـــاك مؤسسات أخرى تلعب دورا كبيرا مثل : وكالة بحوث وتنمية الطاقة :

The Energy Research and Development Agency.

المؤسسة الوطنية للعلوم The National Science Foundation.

ادارة الطاقة الفيدرالية The Federal Energy Administration.

الادارات التى تبحث شئون التجارة

The Departments of Commerce and Treasury.

وقد زاد دور الاخيرة مع بروز مشاكل الطاقة على المســـتوى الدولى ، والصعوبات المالية والنقدية فى النظام الدولى ·

وهناك دور موظفي البيت الابيض ، بالاضافة الى مجموعة الاشخاص الذين يعملون عن قرب من الرئيس الامريكي ، كما توجد مؤسستان هامتان في عملية السياسة الخارجية وهما : مكتب الادارة والموازنة ومجلس الأمن القومي · أما مكتب الادارة والموازنة

The Office of Management and Budget "O.M.B."

فيساعد الرئيس على ترشيد السياسة المالية ، مما يوفر كثيرا في السياسة الخارجيـــة ·

اما مجلس الأمن القـــــومي : The National Security Council فيعد مصدرا استشاريا للرئيس في شئون الدفاع والسياسة الخارجيـــة ، بالاضافة الى مجلس بحـــوث الطـــاقة The Energy Research Council

عملية صناعة السياسة الخارجية البرلمانية : -

على عكس عملية تشكيل السياسة الخارجية في الولايات المتحدة ، فان معظم النظم السياسية البرلمانية ، بما في ذلك بريطانيا العظمى ، وكنـــدا ، وفرنسا ، ودول أوروبا الغربية الاخـــرى ، واستراليا ، ونيوزيلاندا ، تدار سياستها الخارجية من خلال تشكيل برلماني أو وزاري ، ومن مميزات صناعـة السياسة في النظام البرلماني دور رئيس الوزراء ومجلس الوزراء Cabinet الذي يتم اختيارهم من الزعماء السياسيين للحزب الحاصل عـلى الاغلبية أو الائتلاف البرلماني ·

ويشتمل مجلس الوزراء عـــلى رئيس الوزراء ، وهو زعيم الحكومـة والوزراء ·· وفيما يتعلق ببريطانيا فان صناعة السياسة الخارجية تحـــولت بالتدريج من الملك ومجموعة المستشارين ، الى زعمـاء الاغلبيـــة في مجلس العموم ، الذين يشكلون مجلس الوزراء المسئول بشكل جماعي امام مجلس العموم ، ويعد منصب وزير الخارجية منصبا هاما في النظام البرلماني ويطلق على وزارة الخارجية البريطانية : The British Foreign Office

عملية صناعة السياسة الخارجية فى الدول الشيوعية : ـ

من الناحية القانونية توجد عدة أجهزة فى النظم الشيوعية تتولى عملية صناعة السياسة الخارجية ، وهذه الاجهزة هى المجلس التشريعى ، ومجلس الوزراء ... الخ . ولكن من الناحية الفعلية يلاحظ أن الحزب الشيوعى هو المسيطر الرئيسى على عملية صناعة السياسة الخارجية ، وبالذات اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ، ثم المكتب السياسى .. وعلى وجه التحديد السكرتير الاول للجنة المركزية .

أى انه من الناحية الواقعية ، نجد أن طرق صناعة القرارات فى النظم الشيوعية تتسم بالطابع الاوتوقراطى .

● ● ●

مراجع مختارة

* Padelford, Lincoln and Olivey, *The Dynamics of International Politics*, New York : Macmillan, 1976.

* Frankel, Joseph, *International Relations*, London : Oxford University press, 2nd. ed., 1976.

* Couloumbis, Theadore A. and Wolfe, James H., *Introduction to International Relations; Power and Justice*, New Jersey (Prentice-Hall Inc. 1978.

* Hilsman, Roger, Jr., *The Politics of Policy Macking in Defense and Foreign Affairs*, New York : Harper and Row Publisher, 1971.

* London Kurt, *The Making of Foreign Policy : East and* West, Philadelphia : J.B. Lippincot Co., 1965.

* Waltz Kenneth N., *Foreign Policy and Democratic Politics*, Boston :Little Brown Company, 1967.

* Birth, A. H., *The British System of Government*, New York: Praeger Publishers Inc., 1967.

* Barghorn, Frederic C., *Politics in The U.S.S.R.*, Boston Little Brown Company, 1966.

وسائل تنفيذ السياسات الخارجية

١ ـ سياسات القوى وتوازن القوى

يتمثل المفهـــوم العملى للقـــوى An Operational concept of power فى المقدرة على تحقيق الاهداف بشكل فعال ، واغراء أو اكراه الآخرين لتحقيق أهداف معينة ، ويؤخذ فى الاعتبار عدد من الاعتبارات هى : ـ

- ادراك كل طرف وتقويمه للوضع ٠
- مدى ادراك كل طرف لأهدافه مع احترام الوضع القائم ٠

وهناك صعوبة فى تحديد الاولويات عند النظر الى اهمية مكونات معادلة القوى Power equation ، فالموقع الجغرافى قد يكون أكثر أهمية لبعض الدول عن الاخرى ٠٠ واذا كان صراع القـــوى عسكريا فى المقـــام الاول ، فان العوامل المسيطرة قد تكون السكان والصناعة ، ودرجة القوى فى عناصر القـــوى القائمـــة ٠

ويثير مفهوم توازن القوى The Balance of Power معانى كثيرة وله تعريفات مختلفة ، فقد استعمل على أنه توزيع للقوى أو توازن بينها ، ويمكن تحديد خصائص توازن القوى التقليدى فيما يلى : ـ

- وزعت القوى ، ولا سيما القوى العسكرية ، بين عدد من الدول الكبرى ٠
- كان عامل القوى العسكرية أقل صعوبة فى التقدير اذا قورن بتوازن القوى غير التقليدى ٠

● ساهم في تحقيق توازن سياسة القوى Balance of Power Policy الدبلوماسية السرية ودور الدبلوماسيين المهرة ·

● كانت بعض القوى الكبرى في موقع يلعب منه دور العالم بالتوازن . Balance في النظام ·

وهناك ادعاء قوى بأن توازن القوى قد منع الحروب ، ولم يشجع على قيامها ، وحافظ على استقلال الدول ·

وقد يميل التاريخ الى تأييد أن سياسة توازن القوى قد حدث من بعض الحروب ، وفي نفس الوقت فشل النظام في منع الحروب الكثيرة في الماضي ، كما انه ليس ضمانا للمستقبل ·

وقد ساعدت سياسات توازن القوى على المحافظة على الاستقلال لمعظم الدول الاوروبية ، وان كان هذا النظام لم يمنع ايطاليا من غزو اثيوبيا ، أو قيام اليابان بالاستيلاء على أجزاء كثيرة من الصين ، وفي أوروبا فان الترتيبات العسكرية بين القوى الكبرى احتوت على اتفاقيات جاءت على حساب الدول الصغرى في الثلاثينيات ، اذ تحطمت تشيكوسلوفاكيا من جراء السياسة الهتلرية ، وقسمت بولندا بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٩ ·

٢ - الدبلوماسية

تعد الدبلوماسية مؤسسة قديمة ، واستخدمها الاغريق والرومان بشكل مكثف ، وانشئت اول سفارة مقيمة The first resident diplomacy عام ١٤٥٠ م · بين امارتين ايطاليتين Two Italion princely states ولكن انشاء البعثات الدائمة لم تطبق الا في نهاية القرن ال ١٧ ، ثم اصبحت الاجراءات procedures الفرنسية نمطا للطريقة الدبلوماسية ·

وقد أدى التطور في وسائل الاتصال الى التقليل من دور السفير في تنفيذ السياسة ، حيث أن التقارير يمكن أن ترسل بسرعة ويمكن ارسال التعليمات

من خلال البرقيات أو المكالمات التليفونية ٠

وقد أدان الرئيس « ويلسون » Woodrow Wilson الدبلوماسية السرية ، ودعا الى الدبلوماسية المفتوحة ٠

وتشمل دبلوماسية اليوم ما أطلق عليه « ليستر بيرسون » : Lester Pearson الدبلوماسية السياسة Political diplomacy أى تنفيذ الدبلوماسية بشكل شخصى بواسطة وزراء الخارجية ورؤساء الدول أو ممثليهم الشخصيين ، وغالبا ما تغطى المفاوضات بواسطة الصحافة والراديو والتليفزيون ٠

ثم ان بروز الدول الشيوعية ، والدول الجديدة ، أدى الى وجود عناصر جديدة تؤثر فى الدبلوماسية ، حيث وجدت اختلافات ثقافية بين الدول الجديدة والدول القديمة ٠٠ وهذا قد يؤدى الى تفسيرات مختلفة للعدالة والواقع ٠

وحتى مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ م ٠ التزمت الدبلوماسية الاوروبية بقواعد غير مقننة ، ومنذ ذلك الوقت بدأ تقنين الدبلوماسية وعقد مؤتمر الامم المتحدة حول العلاقات الدبلوماسية والحصانات ، وأعدت اتفاقية حول العلاقات الدبلوماسية فى ١٤ أبريل ١٩٦١ ٠

أما الفاعلون فى دبلوماسية القرن العشرين منهم :

The actors in twentieth century diplomacy

- رؤساء الدول والحكومات ٠
- وزراء الخارجية ٠
- الدبلوماسيون ٠

وتتمثل وظائف الدبلوماسية في : -

الحماية : أى حماية وتقويم حقوق ومصـــالح دولة الدبلوماسى ورعاياها فى الخارج ٠

التمثيل : الملاحظة وكتابة التقارير والتفاوض ٠

ويعد التفاوض واحدا من عمليات صناعة القرارات السياسية الاساسية ، ومن التكتيكات الاساسية فى الدبلوماسية الاقناع ، والحلول الوسط :

Persuasion and compromise

وتذهب بعض المصادر الغربية الى أن التكتيك الروسى فى الدبلوماسية يتسم بالسرية والخداع ٠

وهناك دبلوماسية القمة ، ويمكن أن تكون مفيدة اذا كانت هناك رغبة فى الاتفاق المتبادل ، ولكن ذلك يتطلب اعدادا جيدا ، وتحتوى دبلوماسية القمة على مغامرات كبيرة Largerisks

أما دبلوماسية المؤتمـــرات Conference diplomacy فترجـــع الى مؤتمر « وستفاليا » عام ١٦٤٢ - ١٦٤٨ الذى وضع أساس الدولة الحديثة ، ثم مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ ، ومؤتمر برلين عام ١٨٨٤ ومؤتمر لاهاى عام ١٨٩٩ ومؤتمر لاهاى عام ١٩٠٧ ٠

وقد ربط دين راسك الدبلوماسية البرلمانية Parliamentary diplomacy باجتماعات الأمم المتحدة ، حيث أن المناقشات تحكمها قواعد الاجراءات ، الأمر الذي يشبه البرلمانات التقليدية ٠

وتعـــد الدبلوماسية الناجحة بمثابة السياسة العاقلة ، وذلك من خلال ترجمتها الى برامج فعالة :

Successful diplomacy Sound policy and effective programs.

● ● ●

٣ - الوسائل الاقتصادية

هناك عدة وسائل اقتصادية لتنفيذ السياسات الخارجية نذكر منها :

الرقابة على النقد : -

تدخل هذه السياسة فى اطار معالجة العجز فى ميزان المدفوعات أو ترشيد انفاق العملات الصعبة ، وقد فرضت بعض دول غرب أوروبا فى أوقات معينة رقابة على النقد لمنع تسرب أرصدتها المحدودة من الدولار الامريكى ٠

فرض حظر تجارى Embargo على دولة معينة : -

وقد يكون كليا او جزئيا ، مثل الحظر الذى فرضته الولايات المتحدة على كوبا والصين الشيوعية ، أو الحظر الفرنسى على ارسال الاسلحة للشرق الاوسط فى أعقاب حرب ١٩٦٧ ٠

فرض التعريفات الجمركية Tarrifs ونظام الحصص Quotas

يدخل فرض التعريفة الجمركية فى اطار حماية الصناعات المحلية ، أو باعتبارها موردا من موارد الدخل القومى للدولة ٠

أما نظام الحصص ، فيعمل على الحد من الواردات ، وذلك لتحديدها ، وتحديد الدول القادمة منها ، وهذا يدخل فى اطار حماية الصناعات والمنتجات المحلية ٠

المقاطعة : Boycott

أى رفض استيراد السلع التى تنتجها دولة أو مؤسسة معينة ، من الامثلة على ذلك : المقاطعة العربية لاسرائيل ، والشركات والمؤسسات الاجنبية التى تتعامل معها ٠

السياسات الاندماجية : -

مثل اقامة اشكال تكاملية كمنطقة للتجارة الحرة ، أو سوق مشتركة ، أو تخفيض الاجراءات الجمركية بين الدول المشتركة فى مثل هذه الاتفاقيات ٠

التاميم والتجميـــد : -

وذلك بنقل الملكية من الجهات الخاصة الى الجهات العـــامة ، وقد تكون الجهات الخاصة اجنبية ٠

ويعمل التجميد على الاحتفاظ بالارصدة الخاصة بدولة معينة أو رعاياها أو مؤسسات تابعة لها ، وهذا شكل من أشكال العقوبات الاقتصادية ٠

تخفيض قيمة العملة : Devaluation

وذلك لزيادة حجم صادرات الدولة ، وهـــذا قد يحسن من وضـــعها الاقتصـــادى ، ويستخدم هـــذا الاسلوب اذا كانت هناك أزمات اقتصادية فى الدولة المعنيـــة ٠

سياسة المســـاعدات : -

تعد المساعدات الاقتصادية وسيلة من وسائل السياسات الخارجية فى اطار الصراع الدولى ، والسعى لتحقيق المصالح الوطنية ، وقد يتم تقـــديم المساعدات وفقا لترتيبات ثنائية بين دولة ودولة ، وقد يتم تقديمها من خلال المنظمات الدولية كالامم المتحدة ، ومن مزايا تقديم المساعدات من خلال الامم المتحدة أنها تتسم بطابع الحيدة ولا تحمل طابع الضغط السياسى اذا قورنت بمساعدات الدول الكبرى ٠

يعمل البنك الدولى للانشاء والتعمير : International Bank for Reconstruction and Development على تقديم القروض التى تستخدم فى التنمية ، وتتراوح مدة السداد بين ١٠ ، و ٢٠ سنة ، وتتراوح فوائد هذه

القـــروض بين ٤ ، ٦٪ ، أما عوائد القروض السوفيتية المقدمة للدول النامية فتتراوح بين ٢ر٥ ، ٣ر٥٪ ٠

وهناك وكالة التنمية الدوليـة International Development Agency وتتبع البنك الدولي للانشاء والتعمير ، وتقدم تسهيلات إئتمانية للدول النامية اذ أن قروضها دون فوائد ، ولمدة تصل الى خمسين سنة ٠

وهناك المساعدات التي تقدم من خلال ترتيبات اقليمية مثل دور الجامعة العربية في التعاون العربي الافريقي ٠

المساعدات الفنية : Technical Assistance

تعد أداة من أدوات السياسة الخارجية ، ويشتمل هذا الاسلوب على تقديم الخبراء المتخصصين في مجالات التنمية ٠ ويتم تقديم هذه المساعدات مثـل : المساعدات الاقتصادية على أساس ثنائي أو اقليمي أو دولي ٠

● ● ●

٤ - الوسائل العسكرية

ترتبط الحرب بالوسيلة العسكرية ، ويثير ذلك قضية الامكانيات ..
ويمكن أن نثير فى هذا الصدد المفاهيم التالية : -

امكانية الحرب الدفاعية : Defensive war capability

أى استخدام القوة المسلحة اضطرارا لمواجهة العدوان الذى ارتكب ضد الدولة المعنيـــة .

امكانية الحرب الهجومية : Offensive war capability

اى انتهاك الحدود الاقليمية لدولة معينة ، او التوسع على حساب دولة او دول اخرى مثال ذلك اسرائيل فى عدوانها على الدول العربية .

امكانية الردع : Deterrent capability

ازدادت اهمية الردع بعد التطور الرهيب فى صناعـــة الاسلحة النووية التقليدية ، وقد يكون الردع بالسلاح النووى أو السلاح التقليدى .

ويتطلب الردع توفر قدرات كبيرة للدولة التى تمارس الردع ضد الدولة المهاجمة واستخدام هذه القدرات .

وقد يتم اللجوء الى حرب العصابات كوسيلة عسكرية من وسائل تحقيق السياسات الخارجية .

وتثير الوسائل العسكرية قضية الانضمام الى الاحلاف العسكرية وترتيبات الأمن الاقليمى مثل معاهدة حلف شمال الاطلسى :
The North Atlantic Treaty Organization (n a to)

وقد وقعت هذه المعاهدة فى ابريل ١٩٤٩ فى واشنطن ، واشتركت فى توقيعها الولايات المتحدة وكندا وبلجيكا والدانمرك وفرنسا وايرلندا وايطاليا

ولكسمبورج وهولندا والنرويج والبرتغال والمملكة المتحدة ·

وفى عام ١٩٥٢ انضمت اليها تركيا واليونان ·

وفى عام ١٩٥٥ أصبحت المانيا الغربية عضوا عاملا فى الحلف ·

ومجلس الحلف هو السلطة الاساسية فى وضـــع سياسات الحلف ·· ويحضر اجتماعاته وزراء الخارجية والدفاع والمالية ، ويمكن للمجلس ان ينعقد من خلال الممثلين الدائمين لهذه الدول فى مقر الحلف ·· وهنـاك سكرتارية الحلف ، بالاضافة الى عدد من اللجان ومن أهمها اللجنـــة العسكرية ، وهى السلطة العسكرية العليا فى الحلف ·

وفى مارس ١٩٦٦ انسحبت فرنسا من القيادة العسكرية الموحدة للحلف· وقد تشكل الحلف ليكون أداة فى مواجهة الاتحاد السوفيتى والكتلة الشيوعية ·· وتتمثل استراتيجية الحلف فى القوة العسكرية التقليدية والقوة العسكرية النووية · وقد تبنى استراتيجية الانتقـــام الغليظ Massive retalation أى مواجهة أى عدوان بالشدة مع استخدام السلاح النووى ·· غير أن التقدم التكنولوجى الذى وضع قيودا على استخدام الاسلحة النووية أدى الى تبنى استراتيجية الرد المرن Flexible Response أى الاستجابة والرد وفقا لطبيعة العمل العدائى ، وقد أثار هذا مخاوف بعض الدول أعضاء الحلف ، كما أدى الى التركيز من جديد على دور الاسلحة التقليدية لحلف الاطلنطى ·

أما بخصوص حلف السياتو أو حلف مانيلا :

South East Asia Treaty Organization (SEATO)

فقد تم توقيع معاهدة مانيلا أو حلف السياتو فى ٨ سبتمبر ١٩٥٤ ووقع عليها كل من : الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلندة والباكستان وتايلاند والفلبين ، وأنشىء هـــذا الحلف لمواجهة انتشار الشيوعية ، وتشمل منطقة الحلف الدفاعية : منطقـــة جنوب شرق آســـيا ، ومنطقة جنوب غرب المحيط الهادى ·

ولم يكن الحلف فعـــالا فى مواجهـــة الخطـــر الشيوعى فى جنـــوب شرق آســـيا ..

ثم كان الحلف المركزى : Central Treaty Organization

اذ وقعت تركيا والعراق ميثاقا دفاعيا فى ٢٤ فبراير ١٩٥٥ ، وفى أبريل ١٩٥٥ انضمت انجلترا اليه .. وباكستان فى يوليـــو ١٩٥٥ .. وايران فى نوفمبر ١٩٥٥ ، وسمى الحلف فى أول الأمر حلف بغداد .

وفى البـــداية ، انضمت الولايات المتحدة الى بعض لجـــان الحلف .. وعندما قامت ثورة العـــراق عام ١٩٥٨ ، أصبحت الولايات المتحدة عضـــوا كاملا فى الحلف ، وكان مقر الحلف بغـــداد ، وبعد انسحاب العراق ، انتقل المقر الى انقـــرة .. وانتهى الحلف بقيـــام الثورة الايرانية ، وانسحاب بقية الاعضاء منه .

اما حلف وارسو ، فقد أنشىء فى مايو ١٩٥٥ فيما بين الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية ، وعقب انضمام المانيا الغربية الى حلف الاطلنطى وتمت اقامة قيادة موحدة للحلف ، ولجنة سياسية استشارية .

● ● ●

الاندماج الدولى

يعد التكتل الاقتصادى وسيلة لمواجهة المشكلات الاقتصادية والسياسية ، وفى أعقـــاب الحرب العالمية الثانية برزت مشكلة اعادة بنـــاء الاقتصاديات الاوروبية المنهارة وتنمية اقتصاديات العالم الثالث ٠

ورات النظرية الاقتصادية التقليدية من حرية التجارة وما يرتبط بها من الغـــاء القيود على التجارة والمدفوعات الخارجية هى الوســـيلة المثلى لحل مشاكل النظام الدولى ولكن احداث ما بين الحربين اثبتت ان هذه النظرية تهدد مستويات التشغيل والانتاج فى كثير من الدول وادى ذلك الى قيـــام الدول بفرض القيود على التجارة الدولية ثم كان انهيار قاعدة الذهب ، الأمر الذى ادى الى تشديد هذه القيود ٠

واثبت الواقع أن الافراط فى نظام الحماية ، يحتوى على مساوىء لانه ينال من مستوى الرفاهية الاقتصادية ٠

وهكذا اعتبر التكتل الاقتصادى مسلكا وسطا بين حرية التجارة والحماية التى يتفتت بمقتضاها الى وحدات اقتصادية صغيرة ٠

وسائل التكتل الاقتصادى : ـ

تدخل وسائل التكتل الاقتصادى فى اطار : ـ

١ ـ التعاون الاقتصادى ، ويشمل مجموعة الاجراءات التى تتخذها مجموعة من الدول لتخفيف القيود التى تعرقل انسياب السلع ورؤوس الاموال فيما بينها ٠

٢ - الاندماج الاقتصادى : وهو درجة أعلى من التكتل الاقتصادى ٠

وهناك عدة أشكال للاندماج الاقتصادى وهى : -

١ - منطقة التجارة الحرة : Free trade area

أى الغاء الرسوم الجمركية والقيود الكمية المفروضة على السلع المستوردة من بقيـــة الدول المشتركة فى المنطقة ، عـــلى أن تحتفظ كل دولة بتعريفتها الجمركية ازاء الدول غير المشتركة فى المنطقة ٠

٢ - الاتحاد الجمركى : Customs Union

يشتمل على الغاء الرسوم الجمركية والقيود الكمية فيما بين الدول الاعضاء بالاضافة الى ارتباط هذه الدول بتعريفة جمركية واحدة تفرضها على السلع المستوردة من دول العالم الخارجى ٠

٣ - السوق المشتركة : Common Market

تمثل درجة أعلى من الاندماج الاقتصادى ، اذ أنه بالاضافة الى اختفـــاء العوائق المانعة أو المعنية لانتقال السلع بين الدول الاعضاء ، تختفى أيضـــا الحواجز المانعـــة ، أو المقيدة ، لحـــركات عناصر الانتاج الاخـــرى ، كرأس المال والعمل ٠

٤ - الوحدة الاقتصادية : Economic Union

تتميز الوحدة الاقتصادية بأنها تلغى القيود على التجارة وانتقال رؤوس الاموال والاشخاص ، كما تحقق الانسجام بين السياسات الماليـــة والنقدية للدول المشتركة فى الوحدة ٠

٥ - الاندماج الاقتصادى الكامل : Total Economic Integration

ومقتضاه تصبح الدول المندمجة كأنها اقتصاد واحد ، تحـــدد سياساته سلطة عليا فوق الدول ، وتكون قراراتها ملزمة ٠

الحركات التكاملية في اوروبا الغربية

خرجت دول أوروبا الغربية من الحرب وقد تحطم اقتصادها ، وقد عملت على مواجهة هذه المشاكل من خلال التنمية والانتاج الكبير ، ووجـــود سوق واســـعة ..

وفي اطار التعـــاون الاقتصادى ، اتخذت دول أوروبا الغربية الخطوات التاليـــة : -

- اتفقت ١٥ دولة أوروبية ، بالاضافة الى تركيا ، على انشاء منظمة التعاون الاقتصادى الاوروبى :

Organization for European Economic Cooperation „OEEC"

وذلك لتنمية العلاقات التجارية بين الدول الاعضاء ، وكانت تمارس أنشطة مثل منظمة الجات ، ولكن في اطار اقليمي .

- في سنة ١٩٥٨ الغيت المنظمـــة ، وحلت محلها منظمة التعـاون والانماء الاقتصادى :

Organization for Economic Cooperation and Development (OECD) وأصبح اهم عضوينها الولايات المتحدة وكندا .

- في ســـنة ١٩٥٠ وقعت الدول الاعضاء في منظمـــة التعاون الاقتصادى الاوروبي اتفـــاقا خاصـــا باقامـــة اتحـــاد المـــدفوعات الاوروبى : European payment Union „EPU" وذلك لتســـهيل المبـــادلات بين الدول الاعضاء ، وهذا ما فعله ، وذلك بالسماح لكل دولة بأن تستعمل في حدود معينة الفائض المستحق لها قبل احدى الدول الاعضاء لتسوية ديونها قبل دولة ثالثة من دول الاتحاد ، وعمل الاتحاد على القضاء على اتفاقيات الدفع الثنائية ، وأوقفت أعمال الاتحاد في عام ١٩٥٨ بعـد أن أعلنت معظم الدول الاعضاء قابلية عملاتها للتحويل ، وبعد ذلك أبرمت

الاتفاقية النقدية الاوروبية :

European Monetary Agreement "EMA"

وفى مجال الانتاج الاقتصادى أقيمت الجماعة الاوروبية للفحم والصلب .

European Coal and Steel Community "ECSC"

وذلك بمقتضى معاهدة باريس ١٩٥١ ، حيث أقامت ست دول أوروبية هى : فرنسا ، ايطاليا ، ألمانيا الغربية ، بلجيكا ، هولندا ، لكسمبورج ، هذه الجماعة ، والهدف منها هو حرية تبادل منتجات الفحم والصلب بين البلاد الاوروبية ، والغاء ما يعوقه من رسوم جمركية وقيود كمية ، ويعد هذا الاتحاد اتحادا جمركيا ، ولكن فى قطاع معين .

السوق الاوروبية المشتركة : -

European Economic Community "EEC" Common Market.

أنشئت وفقا لاتفاقية روما عام ١٩٥٧ ، حيث تنتقل السلع والخدمات ، ورؤوس الاموال والاشخاص ، داخل الدول الاعضاء بحرية ، وذلك بازالة قيود الانتقال ، وقد ساهمت السوق فى زيادة حجم التجارة الاقليمية وزيادة كفاءة المشروعات الاقتصادية .

المنظمة الاوروبية للتجارة الحرة :

European Free Trade Association "EFTA"

بمقتضى اتفاقية استوكهلم ، اتفقت سبع دول أوروبية هى : انجلترا ، السويد ، الدنمارك ، البرتغال ، النمسا ، سويسرا ، على انشائها ، وتقتصر الاتفاقية على الغاء القيود لحركات السلع ، بين الدول الاعضاء .

التكتل الاقتصادى للدول الشيوعية :

فى يناير سنة ١٩٤٩ أعلن الاتحاد السوفيتى وعدد من الدول الشيوعية

انشاء مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة Council for Mutual Economic Assistance وذلك لوضع اسس التقسيم الدولى الاشتراكى للعمـــل ٠

وجاء انشاء المجلس كرد فعل لقيام منظمة التعاون الاقتصادى الاوروبى ، وتوقف الدول الغربية عن تصدير المواد الاستراتيجية الى الدول المذكورة ٠

وكان الغـــرض من المجلس هو تقسيم العمل بين الدول الشيوعية ، كمـــا عمل على تنميـــة التجارة الخارجية بين الدول الاعضاء ، وتبـــادل المعـــونات الفنية والعلميـــة ، واشتملت أنشطته على التعـــاون فى مجال التخطيط والانتـــاج ٠٠ وعمل على تنسيق الخطط الاقتصادية للدول الاعضاء تنسيقا زمنيا ٠

التكتل الاقتصادى بين الدول المتخلفة : -

واجهت الدول المتخلفة مشاكل التخلف ، ووضعت برامج للتنميـــة ، الا انها واجهت عقبات خاصة بضيق الســـوق ، والعجز فى موازين المدفوعات ، ولذلك ظهرت أهمية التعاون والاندماج الاقتصادى فيما بينها ٠٠ ولذلك اتجهت الدول العربية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية الى تقوية جوانب التعـــاون الاقتصادى فيما بينها ، اذ أبرمت اتفاقيات لتسهيل التبادل التجارى وانتقال رؤوس الاموال على نطاق ثنائى ٠

وأبرمت اتفاقيات جماعية فى اطار الجامعة العربية مثل اتفاقية تسهيل التبادل التجارى وتنظيم تجارة الترانزيت واتفاقية تسديد مدفوعات المعاملات التجارية وانتقال رؤوس الاموال ٠

واتفق على انشاء مشروعات مشتركة مثل المؤسسة المالية العربية للانماء الاقتصادى وشركة البوتاس العربية المساهمة المحدودة ٠

وأبرمت اتفاقية الوحدة الاقتصادية سنة ١٩٥٧ وترتب عليها قيام مجلس الوحدة الاقتصادية العربية سنة ١٩٦٤ ، كما قرر المجلس انشاء الســـوق العربية المشتركة ٠

مراجـــع مختـــارة

* Nicolson Harold *The Evolution of Diplomacy*, New York : Collier Books, 1966.

* Jatmoko Soed & Thompson Kenneth Cultural Diplomacy, Rosenau, *World Politics*., New York : The Free Press, 1976.

* Hirschman A., *The Strategy of Economic Development* New Haver Yale University Press, 1958.

* Beaufre, Andre, *Deterrance and Strategy*, London : Faber, 1965.

* Couloumbis, Theodore A. & Wolfe, James H., *Introduction to International Relations : Power and Justice*, New Jersey, Prentice-Hall Inc, 1978.

* Morganthau, Hans J., Power and Ideology of International Politics, in *International Politics and Foreign Policy*, New York, The Free Press, 1961.

رقم الايداع ٨٧/٤٠٤٤

الترقيم الدولى ٦ ـ ٠٧٨ ـ ٣٧٣ ـ ٩٧٧

طبع بمطابع دار الوزان للطباعة والنشر

المعادى ـ القاهرة ت : ٣٥٢٠٧٠٨